مقدمة في

العقيدة الإسلامية وعلم الكلام

تأليف الدكتور

السيد محمد عقيل بن علي المهدي

دار الحديث

مقدمة في

العقيدة الإسلامية وعلم الكلام

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

دار الحديث
طبع. نشر. توزيع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر بمصر ٩٢٦٥٠٨ / ٩١٧٧٧٩ / ٩١٧٧٧٧ تلكس ٩١٩٦٩٠ ناكس ٩٢٩٨٥

مقدمة في

العقيدة الإسلامية وعلم الكلام

الدكتور

السيد محمد عقيل بن علي المهدلي

دار الحديث

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العقيدة جانب من أهم جوانب الإسلام الأساسية اهتم به العلماء اهتماماً بالغاً وألفوا فيه مؤلفات وضعوا فيها آراءهم النافعة استفدنا منها كثيراً .

الاهتمام بالعقيدة أمر لا بد منه لأن جميع الأعمال الظاهرة منها والباطنة التى يقوم بها المسلمون تبنى عليها بالضرورة ، لأن الأعمال بدون العقيدة تكون باطلة والعقيدة بدون الأعمال تكون عاطلة ، ويكفى هذا دليلاً على مكانة العقيدة فى العبادة فى الإسلام .

والجامعات الإسلامية فى العصر الحديث تخصص كلية خاصة تدرس فيها العقيدة الإسلامية دراسة جامعية على أيدى المتخصصين من كبار الأساتذة .

والدراسات فى العقيدة مهمة جداً والمجالات فيها واسعة تحتاج إلى مراحل شأنها شأن العلوم الأخرى من الشريعة والتصوف وغيرهما ، والمرحلة الأولى لكل دراسة من الدراسات تسمى مرحلة التمهيد التى تقدم فيها بعض المعلومات الرئيسية للدارس الجديد تمهيداً له لدراسة تفصيلية فى المادة التى يختارها للتخصص فيها .

ولذلك كتبت هذه المقدمة فى العقيدة ، التى تهدف إلى تقديم دراسة إجمالية عن العقيدة الإسلامية ، وتتكون هذه المقدمة من مقدمة وستة فصول ومراجع ومصادر وفهرس .

الفصل الأول: يقدم تعاريف للعقيدة لغة واصطلاحاً وحقيقة العقيدة الإسلامية وإجاباتها على تساؤلات الإنسان عن الوجود وسره وموضوعات هذه العقيدة ومزاياها وعلاقتها بالشريعة والأخلاق .

الفصل الثانى: يتناول القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية من حيث كيفية

معـالجة القرآن لأهم القـضايا فى العقيـدة ، وقد سجل تاريخ الإسـلام نجاح القرآن فى بناء العقيدة الصحيـحة فى الصحابة رضى الله عنهم فكانوا بها قادة بعد الرسول ﷺ فى نشر الإسلام .

والفصل الثالث: يعرض صورة العقيـدة الإسلامية أيام الرسول ﷺ وهى صورة واقعية فى الحياة بذل الرسول الكريم ﷺ مجهودات عظيمة فى إرساء قواعدها فى قلوب الأمة وقد جعلت منهم قادة فى الإصلاح وأئمة فى الخير.

والفصل الرابع: يتناول العـقيـدة الإسلاميـة فى أيام الصحـابة رضى الله عنهم وقد كانوا يسيرون على ما سار عليه الرسول ﷺ ما غيروا شيئاً من هذه العقيدة .

والفصل الخامس: يدرس مـوضوعـات متـعلقة بعلم الكلام ونشـأته من أسماء هذا الـعلم وأسباب تسميته بهذه الأسمـاء وتعاريفه وآراء العلمـاء فيه وفوائد دراسته ومـراحل نشأته وعـوامل هذه النشـأة وأهميـة هذا العلم فى العصر الحديث .

الفصل السادس: يختص بعرض الفرق الكلاميـة التى ذكرتها كتب الكلام من الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية والجبـرية والأشعرية والمشبهة والمجسمة وآراء هذه الفـرق بصورة مـوجزة حـتى لا تكون طويلة مملة للدارسين الجـدد وأرجو أن لا تكون قصيرة مخلة فى نفس الوقت .

ومن يرغب فى مـعرفـة تفاصـيل ما أجـملنا فى هذه المقـدمة من النقـاط فليرجع إلى المراجع والمصادر المكتوبة أسماؤها فى هذه المقدمة .

والمقدمـة فى حقيـقتـها تحتـاج إلى إعادة نظر فى بعض جوانبـها العلمـية والمنهجيـة حتى تكون وافية ونافعة فى تقـديم معلومات أساسية عن الـعقيدة الإسلامية وعلم الكلام إلى الدارسين الجدد مـن أبناء المعهد العالى للدراسات الإسلامية بروناى دار السلام .

وأسـأل الله العليم أن يزيدنا علمـاً نافعـاً ويجعـل هذه المقدمـة نافعـة لى

والطلبة فى فهم العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ومؤلفات العلماء وخاصة علماء أهل السنة والجماعة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

بروناى دار السلام فى ٢٣ محرم ١٤١٠ هـ

٢٥ أغسطس ١٩٨٩ م .

المهدلى الحسينى

♥ ♥ ♥

الفصل الأول

العقيدة ومعانيها

وما يتعلق بها من موضوعات

أصبح استعمال كلمة «العقيدة» واسعاً ليس فقط فى الدراسات الدينية كعلم الكلام بل فى الدراسات الفلسفية والسياسية والاقتصادية وغيرها مما يجعل هذه الكلمة اصطلاحاً مشتركاً بين الباحثين فى هذه المجالات وكل واحد منهم يفهم هذه الكلمة من خلال مجال تخصصه .

ويبدو من هذا البيان أن لهذه الكلمة معان ومفاهيم نستطيع أن ندركها من خلال تعلقها بالدراسات والكلمات التى نسمعها يومياً من الإذاعات ونقرأها فى الجرائد والمجلات ومن خلال المحادثات التى جرت فى اللقاءات والاجتماعات فى المناسبات العامة والخاصة .

تتردد كلمة العقيدة على ألسنة الناس وفى محاوراتهم ومحادثاتهم كثيراً ، فتراهم يقولون (أنا أعتقد كذا ، وفلان عقيدته حسنة، والعقيدة الإسلامية السبب الأقوى الذى أدى إلى الانتصارات الإسلامية العظيمة فى كل زمان ومكان، والحرب بيننا وبين اليهود حرب عقائدية فى حقيقتها . . .)[1].

فماذا يريد الباحثون من كلمة «عقيدة» فى دراساتهم؟ وماذا يريد الناس منها فى أقوالهم ؟ وما معنى هذه الكلمة فى اللغة واصطلاح العلماء؟.

العقيدة لغة :

وردت مادة (عقد) فى اللغة على وزن فَعَلَ من باب ضرب ومدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق ، فجاءت فى المصباح المنير كالآتية :

«عقدت : الحبل (عقداً) من باب ضرب (فانعقد) و(العقدة) ما يمسكه ويوثقه ، ومنه قيل: (عقدتُ) البيع ونحوه و(عقدتُ) اليمين و (عقدتها)

---

(١) الدكتور عمر سليمان الأشقر ، العقيدة فى الله ، ص ٩ .

بالتشديد توكيد و (عاقـدته) على كذا و (عقدته) عليه بمعنى عاهدته و(مَعْقِدُ) الشئ مثل مجلس موضع (عقده) و (عقدة) النكاح وغيره: إحكامه وإبرامه و (العقد) بالكسر القـلادة والجمع (عقود) مثل حمل حمول و (اعـتقدت) كذا (عقدت) عليه القلب والضمير حـتى قيل (العقيدة) ما يدين الإنسان به، وله (عقيدة) جسنة سالمة من الشك و(اعتقدت) مالاً: جمعته» [١] .

ووردت فى المعجم الوسيط كالآتية :

«وعقد الحبل ونحـوه : جعل فيه عقدة ، ويقال : عقد نـاصيته : غضب وتهيـأ للشر ، وعـقد طرفى الحبـل ونحوه : وصل أحدهمـا بالآخر بعـقدة تمسكهمـا فأحكم وصلهما ، وعـقد البناء : ألصق بعض حجـارته ببعض بما يمسكها فـأحكم إلصاقها ، وعـقد : بناه مقوسـاً ، وعقد التاج فـوق رأسه: عصبه به،وعقد البيع واليمين والعهد: أكده،وعقد قلبه على شئ: لزمه »[٢].

وفى القرآن الكريم وردت هذه المادة فى كثير من الآيات :

قال الله تعالى :

﴿ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ [٣].

﴿ لا يؤاخـذكم الله باللغـو فى أيمانكم ولكن يؤاخـذكم بما عقـدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين ...﴾ الآية[٤].

﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ [٥].

﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [٦].

﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾[٧].

﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ [٨].

(١) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٤٢١ .
(٢) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٦١٣ و ٦١٤ .
(٣) القرآن الكريم ، النساء ، الآية ٣٣ . (٤) القرآن الكريم ، المائدة ، الآية ٨٩ .
(٥) القرآن الكريم ، الفلق ، الآية ٤ . (٦) القرآن الكريم ، المائدة ، الآية ١ .
(٧) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ٢٣٥ . (٨) القرآن الكريم ، طه ، الآية ٢٧ .

ويبدو واضحاً من هذه البيانات سواء كانت من اللغة العربية أو القرآن الكريم أن استعمال مادة «عقد» يوجد فى الأمور الحسية والمعنوية معاً .

وبناء على ذلك فإن عقيدة الإنسان مذهبه باختصار، أى هى ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبى أكيد وعلى أساس هذا الذى يؤمن به ويراه يذهب فى حياته أى: يسير ويسلك [١].

واصطلاحاً :

والمعنى الاصطلاحى لأية كلمة من الكلمات لا يكون بعيدا عن المعنى اللغوى ، لأن المعنى اللغوى لأى اصطلاح - مهما كان قريباً من الأذهان - يلقى ضوءاً قوياً على ما يصطلح عليه الناس فيه ، وأن هذا المعنى اللغوى يعد من الناحية العلمية أقرب الطرق إلى الوقوف على هذا الاصطلاح أو المصطلح[٢].

وقدم العلماء والباحثون كثيراً من التعريفات فى العقيدة منها :

١ - ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل [٣].

٢ - ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل[٤].

٣ - الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده [٥].

٤ - الرأى المعترف به بين أفراد مذهب واحد [٦].

٥ - ما يؤمن به الإنسان ويعتقده اعتقاداً جازماً كوجود الله وبعثة الرسل والثواب والعقاب وغيرها [٧].

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبود ، العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ص١٢ .

(٢) الدكتور عبد الغنى عبود ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) الجرجانى ، التعريفات ، ص ١٥٢ .

(٤) المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٦١٤ (مادة عقد) . (٥) نفس المكان .

(٦) الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، قواعد العقائد الإسلامية عند الإمام الغزالى، ص١٠ .

(٧) نفس المكان .

٦ - (العقيدة الإسلامية) هى : التصديق الجازم دون شك أو ريبة بما جاء به محمد ﷺ عن ربه قرآناً وسنة فى مجال الألوهية والنبوة واليوم الآخر وما إلى ذلك [١] من القضايا المتعلقة بالأمور المذكورة كالإيمان بالملائكة والكتب وغيرهما.

والعقيدة الإسلامية تقابل الشريعة ، إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعنى التكاليف العملية التى جاء بها الإسلام فى العبادات والمعاملات .

والعقيدة ليست أموراً عملية،بل أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها فى قلبه،لأن الله أخبره بها بطريق كتابه أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ .

وأصول العقيدة التى أمرنا الله باعتقادها هى التى حددها الرسول ﷺ فى حديث جبريل المشهور بقوله ﷺ : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره [٢].

إذن العقيدة فى الإسلام هى التى تدور حول قضايا معينة هى التى أخبرنا بها الله ورسوله وليست اعتقاد أى شىء .

وحتى تصبح هذه عقيدة لا بد أن نصدق بها تصديقاً جازماً لا ريب فيه ، فإن كان فيه ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [٣].

﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [٤].

﴿ إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ [٥].

وذم المشركين المرتابين (فقال تعالى) : ﴿وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم

(١) نفس المكان .

(٢) الإمام مسلم (رحمه الله تعالى) ، صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٣) القرآن الكريم ، الحجرات ، الآية ١٥ . (٤) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ١ ، ٢ .

(٥) القرآن الكريم ، آل عمران ، الآية ٩ .

يترددون ﴾ [١].

ويلاحظ أن المسائل التى يجب اعتقادها أمور غيبية ليست مشاهدة منظورة وهى التى عناها الله تعالى بقوله عندما مدح المؤمنين (قال تعالى) : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾[٢] . فالله غيب وكذلك الملائكة واليوم الآخر ، أما الكتب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله أى كون الرسل مبعوثين من عند الله وأن الكتب منزلة من عند الله ، وهذا أمر غيبى[٣].

العقيدة والإيمان :

ذهب الدكتور عبد الغنى عبود بعد أن ذكر معنى العقيدة -لغة- هى «الإيمان بحقيقة معينة إيماناً قطعياً لا يقبل الشك أو الجدل » أو « الحكم الذى لايقبل الشك فيه لدى معتقده » إلى أن العقيدة هى الإيمان.

وعلى ذلك فإن « عقيدة الإنسان مذهبه باختصار ، أى هى ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبى أكيد ، وعلى أساس هذا الذى يؤمن به ويراه يذهب فى حياته أى يسير ويسلك» [٤].

وباختصار: فإن العقيدة مرادف للإيمان [٥].

وقد استعمل الباحثون فى دراساتهم كلمة العقيدة مكان كلمة الإيمان ووضعوا كلمة الإيمان مكان كلمة العقيدة وعلى سبيل المثال :

الدكتور عبد اللطيف محمد العبد فى كتابه « قواعد العقائد الإسلامية عند الإمام الغزالى تحليل ودراسة » .

الدكتور عمر سليمان الأشقر فى كتابه « العقيدة فى الله ».

---

(١) القرآن الكريم ، التوبة ، الآية ٤٥ . (٢) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ٣ .

(٣) الدكتور عمر سليمان الأشقر ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤) الدكتور عبد الغنى عبود ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٥) نفس المكان .

والدكتور عبد الغنى عبود فى كتابه « العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة » .

ولكن إذا نظرنا إلى الدراسات التى قد قدمها الباحثون فإن كلمة « الإيمان» تستعمل أكثر وخاصة عند شرح موضوعات العقيدة من المعرفة بالله تعالى وبعالم ما وراء الطبيعة وكتب الله تعالى وأنبيائه واليوم الآخر والقدر ، فإنهم يقولون : الإيمان بالله تعالى، والإيمان بملائكة الله تعالى، والإيمان بكتب الله تعالى، والإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بقدر الله تعالى خيره وشره .

والواقع أن اصطلاح الإيمان قديم وضعه الرسول الكريم ﷺ حين حدد للأمة الإسلامية أركان الإيمان كما ورد فى صحيح مسلم قال ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله . . . . . »[١].

وهذه الأركان فى اصطلاح الدراسات الكلامية تسمى بالعقيدة وهى العقيدة الإسلامية .

حقيقة العقيدة الإسلامية :

العقيدة الإسلامية التى حدد سيدنا محمد ﷺ موضوعاتها (أركان الإيمان) هى العقيدة الصحيحة ، التى أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله وجعلها وصيته فى الأولين والآخرين[٢].

قال الله تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾[٣].

فهى عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد

---

(١) الإمام مسلم (رحمه الله تعالى ، صحيح مسلم ، ج ١ ص ٢٩ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٣) القرآن الكريم ، الشورى ، الآية ١٣ .

أو الأقوام [١].

وإن ما شرعه الله تعالى لنا من الدين ووصانا به كما وصى رسله السابقين - هو أصول العقائد وقواعد الإيمان لا فروع الدين ولا شرائعه العملية فإن لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها وأحوالها ومستواها الفكرى والروحى[٢]، كما قال عز وجل : ﴿ لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾[٣].

إن العقيدة الإسلامية هى عقيدة التوحيد الخالص لله الواحد عز وجل ، وهى تخاطب القلب والعقل وتستثير العاطفة والفكر وتوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظها للقوى الذهنية[٤].

وإن هذه العقيدة هى التى توفر للناس الأمن والأمان وغيرهما مما لم يتوفر لهم من الحضارة المادية التى لابد لها من رابط من أصول التوحيد الإسلامى[٥]

العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء إذ هو بدون هذه العقيدة ضائع تائه يفقد ذاته ووجوده .

العقيدة الإسلامية وتساؤلات الإنسان :

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى منحه الله تعالى العقل وبه كلفه الله سبحانه لعبادته ، وبه يفكر الإنسان فى حل مشكلاته وبه يسأل نفسه وغيره ويتساءل ، ومنذ أن سكن الأرض إلى هذا اليوم لا يزال يسأل ويتساءل عن وجوده ووجود العالم وسر الوجود وأسبابه وغيرها .

لقد حاول الفلاسفة أن يحصلوا على الأجوبة ولكنهم لم يحصلوا ولن يحصلوا على إجابة شافية لأن قوة إدراك العقل محدودة .

---

(١) الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، المرجع السابق ، ص ١٣ . (٢) نفس المكان .

(٣) القرآن الكريم ، المائدة ، الآية ٤٨ .

(٤) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، ص ٦ ، والدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، المرجع السابق ، ص١٤ .

(٥) نفس المكان (الدكتور عبد اللطيف محمد العبد) .

إذا كان الأمر كذلك ، فكيف الحل ؟

العقيدة الإسلامية وحدها هى التى تجيب على التساؤلات التى شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنسانى بل تحيره :

من أين جئت ؟

ومن أين جاء هذا الكون ؟

من الموجد ؟ ما صفاته ؟ ما أسماؤه ؟

لماذا أوجدنا وأوجد الكون ؟

وما علاقتنا بالخالق الذى خلقنا ؟

وهل هناك عوامل غير منظورة وراء هذا العالم المشهود ؟

وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان ؟

وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها ؟

وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب ؟

لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم - تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة ، وكل من لم يعرف هذه العقيدة أو لم يعتنقها فإن حاله لن يختلف عن حال ذلك الشاعر البائس- هو إيليا أبو ماضى، الذى لا يدرى شيئاً :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت

ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت

وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟

لست أدرى

أجـديـد أم قـديم أنـا فى هـذا الوجـود ؟

هل أنـــا حر طليـق أم أسيـر فى قيـود ؟

هل أنـا قائد نفسى فى حيـاتى أم مقـود ؟

أتمنـــى أننـــى أدرى ولـــكنى

لست أدرى

أى حـيرة هذه ؟ وأى قلـق تجلبه هذه المجـاهيل للنفـس الإنسانيـة ؟ ألا يستحق أبناء هذا القرن الـذين فقدوا المعرفة بالحقائق الكبـرى التى لا تستقيم حياتهم إلا بها - ألا يستحـقون هذه الهموم التى تملأ النفس وتسبب الأوجاع والعقد النفسية ؟ [1].

ثم قال الشاعر البائس :

أوراء القبر بعد المـوت بعـث ونشـور ؟

فحيـــاة فخلـــود أم فنـــاء فـدثور ؟

أكـلام الناس صدق أم كلام الناس زور ؟

أصـحيح أن بعض النـــاس يـــدرى ؟

لست أدرى

إن أكن أبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً ؟

أترى أبعث بعضـاً أم ترى أبعـث كـلاً ؟

أترى أبعـث طفـلاً أم ترى أبعث كهلاً ؟

ثـم هـــل أعرف بعـد البعـــث ذاتى ؟

لست أدرى

---

(١) الدكتور عمر سليمان الأشقر ، المرجع السابق . ص ١٢ - ١٣

إنه لا يدرى إلى أين المصير، ومصير الإنسان يهمه ويعنيه ويريد أن يطمئن عل ذلك ، ونحن نرى لوعة الشاعر وأساه لأنه لا يدرى إلى أين يصير ؟ وماذا سيصير ؟ إنه الضلال ، الضلال عن الحقيقة ، إنه الشقاء شقاء القلب المثقل المكدود الذى أتعبه المسير ، وكم فى الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس الضال، بعضهم يستطيع أن يفصح عن شقوته وحيرته، وبعضهم يحس ويعانى وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية .

لست أدرى - تلك هى الإجابة عن التساؤلات الخالدة ، وليست هى قولة شاعر فحسب ، فسقراط الفيلسوف الذى يعد من عمالقة الفلاسفة يقول بصريح العبارة : « الشئ الذى لا أزال أجهله جيداً أننى لست أدرى ». بل إن «اللاأدرية» مذهب فلسفى قديم .

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدرى ، يدرى من أين جاء، وإلى أين المصير ، يدرى لماذا هو موجود وما دوره فى هذا الوجود ، يدرى ذلك حقاً وصدقاً وفرق بين من يدرى ومن لا يدرى[١]- قال تعالى :

﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم﴾[٢].

موضوعات العقيدة :

والمراد بالموضوعات فى العقيدة هو الأركان فى الإيمان ويقال عنها العناصر وهذه الموضوعات مذكورة فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام وهى ستة :

١ - المعرفة بالله تعالى :

وكذا المعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة .

---

(١) الدكتور عمر سليمان الأشقر ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة تبارك ، الآية ٢٢ .

٢ - المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة :

أو العالم غير المنظور وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة وقوى الشر التى تتمثل فى إبليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما فى هذا العالم أيضاً من جن وأرواح .

٣ - المعرفة بكتب الله تعالى :

التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبيح .

٤ - المعرفة بأنبياء الله تعالى ورسله :

الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق إلى الحق .

٥ - المعرفة باليوم الآخر :

وما فيه من بعث وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار .

٦ - المعرفة بالقدر :

الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير[١] .

(١) الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

مزايا العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية مزايا لا تتوفر لغيرها من العقائد :

١ - عقيدة واضحة .

فهى عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض ، تتلخص فى أن وراء هذا العلم البديع المنسق المحكم رباً واحداً خلقه ونظمه ، وقدر كل شئ فيه تقديراً ، وهذا الإله أو الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد **﴿بل له ما فى السموات والأرض كلٌ له قانتون ﴾**[١] .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة فالعاقل دائماً يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة ويريد أن يرجع الأشياء دوماً إلى سبب واحد .

فليس فى عقيدة التوحيد ما فى عقائد التثليث أو المثنوية ونحوها من الغموض والتعقيد الذى يعتمد دائماً على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين «اعتقد وأنت أعمى » .

٢ - عقيدة الفطرة .

وهى عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها ، بل هى منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم ، وهذا صريح القرآن :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[٢] .

وصريح الحديث النبوى : «كل مولود يولد على الفطرة (أى على الإسلام) وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٣]، فدل على أن الإسلام

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ١١٦ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية ٣٠ .

(٢) السيوطى ، الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٩٤ (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب لسانه فأبواه . . . إلخ) ، قال القرضاوى: متفق عليه.

هو فطرة الله ، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين ، أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهى من تلقين الآباء .

٣ - عقيدة ثابتة .

وهى عقيدة ثابتة محددة لا تقبل الزيادة أو النقصان ولا التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام أو مجمع من المجامع العلمية أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية أن يضيف إليها أو يحور فيها ، وكل إضافة أو تحوير مردودة على صاحبها ، والنبى ﷺ يقول : «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١] أى مردود عليه .

والقرآن يقول مستنكراً : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾[٢] . وعلى هذا فكل البدع والأساطير والخرافات التى دست فى بعض كتب المسلمين أو أشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ حجة عليه .

٤ - عقيدة مبرهنة .

وهى عقيدة « مبرهنة » لا تكفى من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد ، والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى «اعتقد وأنت أعمى» أو « آمن ثم اعلم » أو «أغمض عينيك ثم اتبعنى » أو « الجهالة أم التقوى»، بل يقول كتابها بصراحة: ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[٣] . ولا يقول لعلمائها ما قاله القديس الفيلسوف المسيحى (أوغسطين): « أومن بهذا لأنه محال » بل يقول علماؤها : «إن إيمان المقلد لا يقبل »[٤] .

وقد صرح أحد الخلفاء الراشدين وهو الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : «أول الدين معرفة الله »[٥] .

(١) السيوطى ، المصدر السابق ، ج٢ ص١٦٠ قال رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه .
(٢) القرآن الكريم ، الشورى ، الآية ٢١ .
(٣) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ١١١ ، والنمل الآية ٦٤ .
(٤) الدكتور يوسف القرضاوى ، الإيمان والحياة ، ص٤٩ .
(٥) نهج البلاغة .

وفى القرآن الكريم أمر الله تعالى أن يعلمه العبد بأنه لا إله إلا الله قال تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾[١]. وقال: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾[٢] وقال : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ﴾[٣] . وقال : ﴿ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾[٤]. وغيرها كثير من أمثال هذه الآيات التى أمرنا الله بها أن نؤمن بالاقتناع العقلى

وكذلك لا تكتفى بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساساً للاعتقاد ، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة والبرهان الناصع والتعليل الواضح الذى يملك أزمّة العقول ويأخذ الطريق إلى القلوب ، ويقول علماؤها : «إن العقل أساس النقل . . والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح » .

فنرى القرآن فى قضية الألوهية يقيم الأدلة من الكون ومن النفس ومن التاريخ على وجود الله وعلى وحدانيته وكماله .

وفى قضية البعث يدلل على إمكانه بخلق الإنسان أول مرة وخلق السماوات والأرض وإحياء الأرض بعد موتها ، ويدلل على حكمته بالعدالة الإلهية فى إثابة المحسن وعقوبة المسئ : ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾[٥] .

٥ - عقيدة وسط .

وهى عقيدة وسط لا تجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً .

هى وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم ، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله بل يحلون روح الإله فى الملوك والحكام ، بل فى بعض الحيوانات والنبات مثل الأبقار والأشجار ، فقد رفضت الإنكار الملحد كما رفضت التعديد الجاهل ، والإشراك الغافل،

---

(١) القرآن الكريم ، محمد ، الآية ١٩ . (٢) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ٢٦٠ .
(٣) القرآن الكريم ، هود ، الآية ١٤ . (٤) القرآن الكريم ، الحديد ، الآية ١٧ .
(٥) القرآن الكريم ، النجم ، الآية ٣١ .

وأثبتت للعالم إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون...﴾ (١).

وهى عقيدة فى أمر النبوة وقضية الإرادة الإنسانية وغيرها من القضايا الدينية تظهر فيها مزايا العقيدة الإسلامية بوضوح.

العقيدة والشريعة والأخلاق :

قبل أن نبين علاقة العقيدة بالشريعة والأخلاق باختصار نقول إن اصطلاح « الشريعة » له مفهومان :

١ - المفهوم الأول هو المفهوم العام فيقال بناءً على هذا المفهوم إن الشريعة ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد والأحكام والأخلاق وهذه الثلاثة هى جوانب الإسلام وعناصره التى بنى عليها بناء الإسلام المتكامل يشد بعضه بعضاً .

وعلى هذا المفهوم تكون الشريعة بمعنى الدين لأن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً (٢) والدين هو وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ (٣).

٢ - والمفهوم الثانى هو المفهوم الخاص المعروف باسم «الفقه» والفقه هو فى الاصطلاح: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية(٤).

---

(١) القرآن الكريم ، المؤمنون ، الآية ٨٣-٨٩ .

وموضوع مزايا العقيدة الإسلامية مكتوب بالتفصيل فى كتاب «الإيمان والحياة» للقرضاوى وخاصة موضوع الوسط فى صفحة ٤٩ - ٥٧ .

(٢) الجرجانى ، التعريفات ، ص ١٠٥ . (٣) نفس المكان .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦٨ .

والشريعة بهذا المفهوم الخاص هو الجانب العملى من دين الإسلام والعقيدة هى الجانب النظرى والأخلاق جانب السلوك.

والعقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار أو ارتباط المسببات بالأسباب والنتائج بالمقدمات . ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتى العمل مقترناً بالإيمان فى أكثر آيات القرآن الكريم [١]، مثل قوله تعالى :

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ [٢].

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[٣].

وعلاقة العقيدة بالأخلاق هى نفس علاقة العقيدة بالشريعة والعقيدة مفضية إلى العمل ومرتبطة به ارتباطاً وثيقاً يجعل من سلوك الإنسان وتصرفه فى واقع حياته صورة منعكسة عن عقيدته [٤].

إن العقيدة الصحيحة هى أساس كل بناء عند المسلمين وأى عمل يعمله المرء ليس مبنياً على العقيدة فهو عمل باطل مهما كان عظيماً فى أعين الناس، ولهذا فإننا نرى أن أعمال الكافرين كلها لا تزن شيئاً مهما عظمت وكانت نافعة للناس فى الحياة ، والسر فى ذلك أنها لم تصدر عن عقيدة صحيحة ولم تنبت من إيمان خالص ، وهذا هو السر فى أن أعمال الكافرين تكون يوم القيامة هباء منثوراً[٥]، قال الله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾[٦].

---

(١) السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، ص ١٢ .

(٢) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ٢٥ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية ٩٧ .

(٤) الدكتور محمد بيصار ، العقيدة والأخلاق ، ص ٥٤ .

(٥) الدكتور محمد السيد الوكيل ، قواعد البناء فى المجتمع الإسلامى ، ص٩ .

(٦) القرآن الكريم ، الفرقان ، الآية ٢٣.

وقد قدم العلماء دراسات قيمة فى موضوع « العلاقة بين العقيدة والشريعة والأخلاق» فلا حاجة إلى ذكر تلك الدراسات بالتفـصيل فى هذه الصفحات وعلى الراغب فى هذا الموضوع الرجوع إلى المراجع التى نعتمد عليها فى هذه الدراسة.

الفصل الثانى

القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية

من المعروف أن القرآن الكريم ليس كتاباً فى العقائد على نمط الكتب التى تعالج مشاكلها بأساليبها المختلفة ، ولكنه قبل كل شىء كتاب هداية وإرشاد، ومع هذا فقد احتوى على كثير من آيات العقائد وعالج مسائلها بمنهجه الخاص ، بمعنى أنه لا يسوق القضايا التى يعالجها - نفياً أو إثباتاً - سوقاً مجرداً جامداً ، بل كثيراً ما يشتق أدلته على الدعوى من الواقع المحس ، سواء كان مجلى هذا الواقع ظواهر الطبيعة أو باطن النفس والشعور أو قضايا العقل المقررة التى لا يمكن له أن يحيد عنها [١] .

والآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن الكريم معظمها فى العقائد تدل دلالة واضحة على اهتمام القرآن الكريم بقضايا العقيدة الإسلامية وأهمية هذه العقيدة فى حياة الإنسان ومكانتها العظيمة فيها .

والدارس المتعمق لكتاب الله تعالى يجد أن الآيات الواردة فى الأحكام الشرعية لا تعدو الستمائة آية .

وأما البواقى ففي بيان التوحيد والنبوة والمعاد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين [٢].

بالإضافة إلى ذلك ، فإن السور والآيات التى نزلت فى مكة المكرمة سميت مكية تعالج القضايا الأساسية فى الإسلام هى قضايا العقيدة لأنها أساس كل بناء عند المسلمين . فإن المرحلة المكية هى فى حقيقتها مرحلة العقيدة التى بنيت عليها المرحلة المدنية .

---

(١) الدكتور محمد عبد الستار نصار ، المدرسة السلفية ، ص ٤٧٩ .

(٢) الدكتور على عبد المنعم ، الإيمان كما يصوره الكتاب والسنة ، ص ١٠٨ ، نقل عن التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى المتوفى سنة ٥٤٥ هـ ، ج٢ ، ص ٨٨ ، نشر دار الكتب العلمية بطهران .

منهج القرآن الكريم فى تقرير العقائد :

اتخذ القرآن فى تقرير العقائد منهجاً ذا وجهين :

أحدهما لهدم العقائد المتوارثة التى أضحت فى عالم المعتقد لا غذاء فيها للقلب والروح .

وثانيهما لبناء العقيدة الصحيحة التى تملأ جوانب النفس البشرية بالإيمان الصحيح .

فأما الوجه الأول : فقد استعمل القرآن فيه منهج الجدل ضد أصحاب العقائد الفاسدة ، فناقش المشركين عبدة الأصنام والصابئة عبدة الكواكب والمجوس الذين يقولون بإلهين أحدهما للنور والآخر للظلمة ، كما ناقش أصحاب الكتب السماوية كى يظهر ما أضحوا عليه من الانحراف عن الدين الحق والعقيدة الصحيحة ، وقد جمع القرآن الكريم الأديان التى كان للعرب اتصال بها حين نزولها ، فى الآية الكريمة : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد** ﴾ (١).

كان فى العرب ـ إذن ـ يهود ونصارى ، كما كان فيهم صابئة ومجوس ثم كان فيهم مشركون ، وقبل هؤلاء جميعاً كان فيهم مؤمنون (٢).

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم - وهو يصور عقيدة هذه الطوائف كان يعقب على معتقد كل طائفة بدليل صحتها أو خطئها ، فمثلاً فى الآية التى ذكرناها . . ، يصدرها بتعداد الطوائف ، ثم يذكر فى عجزها قوله: ﴿**إن الله يفصل بينهم يوم القيامة** ﴾ وفى هذه دلالة ضمنية عل أن جميعهم ليسوا سواء فى المعتقد ، وأن الحق متعين فى إحدى هذه الطوائف وهى طائفة المؤمنين - هذا إذا جعلنا الفصل بينهم موجهاً إلى جميع الطوائف بما فيها طائفة

(١) القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية ١٧ .

(٢) الدكتور عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

المؤمنين، أما إذا جعلناه موجهاً إلى الطوائف سواها ، فيكون الفصل بينهم يوم القيامة قائماً على عدم صحة معتقد كل طائفة منها ، وإن ظن أصحابها أنهم جميعاً على الحق .

ثم نرى القرآن الكريم يعقب تفصيلاً على عقيدة كل طائفة، فيصف قول أصحاب الدهر «بالظن» وليس بعده إثم فى مقام العقيدة وأن مذهبهم لم يقم على أساس علمى مقرر ﴿ **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ .

ثم يدلل على خطأ الذين ينكرون البعث بقياس الإعادة على النشأة أول مرة ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ (١).

ثم يصدر قول الذين يتخذون من دونه أولياء بقول : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ ثم يختمه بقول : ﴿ **إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ إشارة إلى كذبهم وكفرهم فى قولهم . ثم يعقب على قول الذين يجعلون لله البنات بقوله ﴿**سبحانه**﴾ تنزيهاً له عن هذا القول ويبين أن الشهوة هى التى دفعتهم إليه . كما صرح بأن الذين يحكمون بأن الملائكة إناثاً، لم يقم حكمهم على أساس من العلم - حسياً كان أو عقلياً - فيستفهم مستنكراً ﴿**أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ .

ونستنتج من هذا كله أن القرآن الكريم كان يورد من مناقضة الخصوم فى عقائدهم الفاسدة أدلة فسادها ، بحيث لا يستطيع العقل السليم والفطرة المستقيمة إلا الاعتراف والإذعان لهذه الأدلة (٢).

والقرآن الكريم حين يجادل المخالفين كان لا يمد فى حبل هذا الجدل ، لأنه لا يقوم أساساً على الخصومة فى الآراء ولا يخضع لبديهيات العقل المقررة ، وخصوصاً لدى أصحاب العقائد الفاسدة ، لذا نراه يخاطب النبى ﷺ بقوله : ﴿ **فإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم**

---

(١) القرآن الكريم ، الروم ، الآية ٢٧

(٢) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٨٣ .

القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾[١].

كما أمر رسوله ﷺ بالجدل بالتى هى أحسن بقوله : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾** [٢].

وأما الوجه الثانى : هو الجانب البنائى الذى يقوم على إرساء قواعد الاعتقاد الصحيح بعد تقويض الزائف من العقائد الفاسدة الموروثة . ولعلنا نلمس أن أخطر الاتجاهات انحرافاً بالعقيدة هو اتجاه أصحاب الدهر وهم الذين سماهم الشهرستانى «معطلة العرب» [٣] ثم يأخذ اعتقاد بقية الطوائف الأخرى دوره فى سلسلة المعتقدات المنحرفة حتى يصل إلى عقائد أهل الكتاب وهى التى تعتبر الدين الجديد امتداداً لها ، لو لا ما شابها من انحراف وتغيير على أيدى أبنائها عندما ضلت بهم السبل وأعرضوا عن الطريق الصحيح .

من ثم رأينا القرآن يتجه أولاً إلى إثبات أن للكون إلهاً خالقاً ، وأن القول بالطبع لا يقوم على حقيقة علمية مقررة - وفى هذا رد على الدهرية - ثم يتجه بعد ذلك إلى قضية التوحيد - وفى هذا رد على بقية الطوائف الأخرى من ثنوية ومجوس ومشركين ويهودية ونصرانية من بعض الجوانب حتى إذا ما وصل إلى هذا الحد ، فقرر منع المماثلة الحقيقية بين الخالق وجميع مخلوقاته ، وفى هذا رد على اليهود والنصارى فى الجوانب التى تشوب توحيدهم مثل قول الأولين بالتشبيه وأن عزيراً ابن الله ، ومثل قول الآخرين بالتثليث أو اتحاد اللاهوت بالناسوت على أى وجه كان الاتحاد ، كما أن فيه أيضاً رداً على أولئك الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية ٦٨ - ٦٩ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ، نقل عن الملل والنحل ج ٢ ص ٢٤٤ .

فأما الأمر الأول (الإثبات أن للكون إلهاً خالقاً) : فقد بينه القرآن بأساليب مختلفة ، فتارة يدعو إلى لفت الأنظار إلى ما فى الكون من ظواهر طبيعية وأن هذه الظواهر لا يمكن أن يكون لها التأثير المستقل بالإيجاد ، حتى لا يخيل للناظر أن هذه الظواهر الماثلة فى عالم العيان والواقع هى بمثابة شاهد حقيقى على أن لهذا الكون صانعاً . وقد جاء هذا على سبيل التحضيض تارة كما فى قوله تعالى :

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [١]. وعلى سبيل الأمر مرة أخرى كما فى قوله : ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾[٢]. وقد تجىء على نمط المقررات العقلية فى القياس المقسم ، كما فى قوله : ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾[٣].

وقوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾. وقوله ﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ وقوله ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ ﴿ أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾[٤].

ثم يترقى القرآن بعد ذلك فى سوق الدليل فيجعل من المستقر فى فطرة النفس دليلاً على أن للكون خالقاً فيقول: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾[٥].

---

(١) القرآن الكريم ، الغاشية ، الآية ١٧ - ٢٠ .

(٢) القرآن الكريم ، يونس ، الآية ١٠١ .

(٣) القرآن الكريم ، الطور ، الآية ٣٥ - ٣٦ .

(٤) القرآن الكريم ، الواقعة ، من الآية ٥٨ - ٧٢ وذلك بدون ذكر الآيات التى تعقب كل آية ذكرناها ببيان أن ذلك من صنع الله وقدرته ولم تجئ على سبيل الصدفة حتى يستقر فى قلب كل ذى فطرة سليمة أن لهذا الكون رباً .

(٥) القرآن الكريم ، الذاريات الآية ٢١ .

ومما هو جدير بالتنبيه إليه أن الهدف الرئيسى للقرآن فى هذا المقام كان فى إيقاظ شعور الإنسان ليدرك ما بينه وبين الخالق وبين الكون من علاقات متعددة ، كما يقول الدكتور محمد إقبال(١).

وبهذا تظهر قيمة المنهج القرآنى فى الاستدلال على العقيدة ، بحيث لم ينح نحو القضايا المجردة الجامدة ، بل اشتق من الواقع الطبيعى والنفسى والعقلى أساساً لهذا المنهج(٢).

وأما اتجاه القرآن إلى إثبات الوحدانية ، فقد اتخذ صوراً مختلفة أيضاً ، فتارة يسوق الآية على سبيل الإخبار ، كما فى قوله تعالى : ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾(٣).

وأخرى يسوقها على سبيل الأمر للمتدينين - فى شخص النبى ﷺ - كما فى قوله تعالى ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ (٤) . وثالثة على نمط نفى التعدد كما فى قوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾(٥) ، ثم يرد على الذين يقولون بأن له ولداً - مع القول بالتعدد - بقوله تعالى : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض** ﴾ (٦).

وما ينبغى إليه أن هذه الآيات وإن جاءت على هذا النحو ، فإنه يمكن أن يصاغ منها أدلة منطقية يقينية كما فى قوله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ ، وهى التى أخذ عنها المتكلمون ببرهان التمانع (٧) ، وليس بحق ما ذهب إليه بعضهم من أن هذه الآية دليل إقناعى لا برهانى على

---

(١) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٨٦ ، نقلاً عن كتاب تجديد التفكير الدينى ص ١٦ . (٢) نفس المكان .

(٣) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ١٦٣ . (٤) القرآن الكريم ، الإخلاص ، الآية ١ .

(٥) القرآن الكريم ، الأنبياء ، الآية ٢٢ (برهان التمانع) .

(٦) القرآن الكريم ، المؤمنون ، الآية ٩١ (برهان التوارد) .

(٧) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٨٨

الوحدانية[١] ، ودليلنا على ذلك أن تالى هذه الآية مرفوع بالمشاهدة - وهو الفساد - على فرض تحويلها إلى قياس استثنائى ، فيرتفع المقدم تبعاً لذلك - وهو التعدد - ويثبت ضده وهو تفرد الله سبحانه بالوحدانية [٢].

ونرى أن القرآن الكريم فى إثبات الصانع يتخذ المنهج الواضح الجلى المشتق من العالم المشاهد وضرورة العقل ، فالكون مع اختلاف ظواهره يسير حسب نظام معين وسنة لا تتبدل، ولا يمكن أن يكون ذلك لأمر ذاتى فإن مادة الكون صماء غير عاقلة ولا تأثير فى ذاتها فضلاً عن تأثير بعضها فى البعض الآخر ، والنتيجة الطبيعية لهذا أن هذا الكون لا بد أن يكون خاضعاً فى نظامه لقوة واحدة عاقلة [٣].

وبعد تقرير الوجود الواجب بأدلته الوحدانية - كما بينا - يكون الخطب هيناً مع أولئك الذين يشوب توحيدهم نوع من النقص ، لذا نرى القرآن الكريم ينزع إلى نفى المماثلة الحقيقية بين الخالق والمخلوق ، وكان هذا النوع من الآيات قليلاً بالنسبة إلى آيات إثبات الصانع ووحدانيته ، وهذا يدلنا على توافق القرآن الكريم مع مقامات الاستدلال وتنوع آياته بحسب كل مقام . وقد نفى القرآن الكريم المماثلة بين الله ومخلوقاته، بمثل قوله تعالى: ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿ **هل تعلم له سمياً** ﴾[٥]، ثم ينفى المماثلة بشكل أكثر وضوحاً كما فى قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾ [٦].

القرآن الكريم وذات الله تعالى :

إن ما يتعلق بذات الله سبحانه قد تحدَّث عنه القرآن الكريم باعتبارات مختلفة نذكرها على الوجه التالى :

---

(١) نفس المكان نقل عن العقائد النسفية ص ٥٥ و ٥٧ . (٢) نفس المكان .
(٣) نفس المرجع ، ص ٤٨٩ . (٤) القرآن الكريم ، النحل ، الآية ١٧ .
(٥) القرآن الكريم ، مريم ، الآية ٦٥ . (٦) القرآن الكريم ، الشورى ، الآية ١١ .

أولاً : - باعتبارات الذات : وصفه القرآن الكريم بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن والقيوم والواحد والحى والمتعالى والغنى والقهار والباقى والعظيم، إلى آخر الأوصاف الذاتية التى اشتملت عليها آيات القرآن الكريم.

ثانيا : - باعتبار صلته بالمخلوقات : وصفه بأنه الخالق البارئ المصور المبتدئ المعيد ، المحى المميت ، إلى غير ذلك من النعوت التى تبين أنه الخالق المطلق ، المدبر الحكيم الذى لا قوة غير قوته ولا سلطان غير سلطانه .

ثالثاً : - باعتبار صلته بالإنسان : وصفه القرآن الكريم بأنه الرحمن الرحيم ، الغافر العفو ، الحليم الصبور، والرؤوف الودود ، إلى غير ذلك من الأوصاف التى تجىء بهذا المعنى .

رابعاً : - باعتبار علاقة الإنسان به : وصفه القرآن الكريم بأنه الرحمن الهادى الوكيل الولى الرازق الوهاب المجيب المعطى المغنى ، إلى غير ذلك من الأوصاف التى تدل على أن صلة العبد به صلة احتياج [1].

وبجانب هذه الآيات التى وصفت الله بهذه الاعتبارات ، نجد غيرها تصفه بما وصف به بعض خلقه فى موضوعاتها اللغوية سواء كانت تدل فى الظاهر على لوازم الجسمية كاليد والجنب والعين وما شاكلها ، أو على معان نفسية كالرضا والغضب والمكر وما ماثلها ، كما وجد فى أحاديث رسول الله ﷺ ما يوافق القرآن فى هذا المقام .

ثم جاءت نصوص القرآن والسنة أيضاً ببقية العقائد الأخرى ، كالإيمان ، وأفعال العباد الاختيارية ومدى ما للعبد فيها بجانب قدرة الله تعالى ، كما تحدث القرآن الكريم عن النبوات والسمعيات المتعلقة بأمور الآخرة ، بحيث نستطيع أن نقرر أن القرآن الكريم والسنة لم يتركا أمراً من أمور العقيدة إلا وبيناه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم**

---

(١) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٩٠ ، انظر بالتفصيل : د. محمد البهى ، الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص٢٩ .

نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ [١].

وهنا حقيقة ينبغى التنبيه إليها ، وهى أن اللغة فى تعبيرها عن المعنى الإلهى ، إنما تراعى فيها جانب المخاطبين بما هو معروف لديهم حتى يكون خطاب الله تعالى إلى عباده مفهوماً ، وإلا كانوا غير مطيقين فهمه ، ولكن ذلك فى إطار من آيات التقديس حتى لا يسبق إلى الفهم المشابهة بين الله تعالى ومخلوقاته . . . [٢].

هذا هو الجانب النظرى للعقيدةالإسلامية فى القرآن الكريم بصورة موجزة نعرضها على الطلبة لتكون لهم صورة إجمالية عن هذه العقيدة حتى يستطيعوا المقارنة بين منهج القرآن الكريم وبين المناهج الأخرى فى حل قضايا العقيدة الإسلامية .

أما الجانب العملى التطبيقى للعقيدة الإسلامية فقد حدثتنا عنه كتب الفرق، وقد أجمع المؤرخون للعقيدة على أن الرسول ﷺ وصحابته رضى الله عنهم أجمعين لم يختلفوا حول مسائل العقيدة [٣].

وقد حدد القرآن الكريم عقائد الإسلام بآيات محكمات واضحات هن أم الكتاب ، فاجتمعت عليها كلمة العرب بعد التفرق، وعز شأنهم بعد التمزق وأصبحوا بفضل الله سبحانه إخواناً [٤].

وهذا الفصل يقدم دراسة موجزة عن منهج القرآن الكريم فى العقيدة الإسلامية اعتماداً على الدراسات التى قدمها الباحثون وفى مقدمتهم الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار .

وهذه الدراسة تحتاج إلى مزيد من العناية والدراسة حتى نستطيع أن نفهم منهج القرآن الكريم بالتفصيل فى حل قضايا العقيدة الإسلامية وهو منهج قد ثبت واقعياً تأثيره فى نفوس البشر بلا نقاش .

(١) القرآن الكريم ، المائدة ، الآية ٣ .

(٢) الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص ٤٩١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٩٢ .

(٤) الأستاذ محمد حمزة ، التآلف بين الفرق الإسلامية ، ص ٧ .

الفصل الثالث

العقيدة فى أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

بعث سيدنا محمد الأمين ﷺ فى مكة المكرمة وكانت دعوته قائمة فى أول أمرها على ثلاثة مبادئ :

المبدأ الأول : أنه رسول الله بعثه للناس بشيراً ونذيراً .

المبدأ الثانى : إبطال عبادة الأصنام وأنها ليست آلهة وأن الإله هو ﴿ **الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[١] .

ولقد أشار إلى هذين المبدأين معاً القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين** ﴾[٢] .

المبدأ الثالث : القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة وأننا سنبعث بعد موتنا لأجل المحاسبة على أعمالنا وإثابة المطيع ومعاقبة العاصى .

ولقد كان العرب يكذبون بالبعث وبالحياة الأخرى ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا أيضاً ، قال تعالى : ﴿ **وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾[٣] .

وكانت دعوة النبى عليه السلام فى المدة التى أقامها داعياً فى مكة - وهى ثلاثة عشر عاماً - قائمة تقريباً على هذه المبادئ الثلاثة المذكورة .

ولقد كافح النبى ﷺ كثيراً من أجلها وحاول أن يقنع مشركى مكة وغيرهم ممن دعاهم إلى هذه المبادئ بصحتها والإيمان بها واعتقادها ، ولكن لم يؤمن بها منهم إلا نفر قليل[٤] ، وفى مقدمتهم :

(١) القرآن الكريم ، الإخلاص ، الآية ١ - ٤ .
(٢) القرآن الكريم ، فصلت ، الآية ٦ . (٣) القرآن الكريم ، الأنعام ، الآية ٩ .
(٤) الأستاذ على مصطفى الغرابى، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين .

سيدتنا خديجة بنت خويلد رضى الله عنها والإمام على كرم الله وجهه وغيرهما من كبار الصحابة منهم سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهم أجمعين وغيرهم .

وإذا نظرنا إلى هؤلاء الصحابة الذين آمنوا برسالة سيدنا محمد ﷺ فإنهم صدقوا بما جاء به تصديقاً كاملاً وقاتلوا فى سبيل هذه الرسالة بأموالهم وأنفسهم وهاجروا بها إلى المدينة المنورة بعد أن هاجروا إلى غيرها .

وكان الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى المدينة على ما كانوا عليه من العقيدة الصحيحة فلا يسألون عما وراء ما بلغهم إياه سيدنا محمد ﷺ ، وكل واحد منهم يفهم مما وصف الله سبحانه به نفسه فى القرآن الكريم بقدر ما يفتح الله عليه من الفهم وبحسب الاستعداد الذى خصه الله به لأن كل ما جاء به القرآن حق وصدق ، لا فرق بين آيات ظاهرها التشبيه وأخرى ظاهرها التنزيه ، ويقبل كل ما جاء به القرآن من غير أن يعقد مقارنة بين آياته .

فالصحابة كلهم على هذه الحالة حيث إنهم أيقنوا وآمنوا أن القرآن الكريم من عند الله ولينصرفوا إلى إصلاح أنفسهم والعمل على إصلاح غيرهم بهذا القانون الذى جاءهم به محمد ﷺ من عند الله تعالى . ولقد كان إذا عنّ لأحدهم شبهة فى شىء فإنه لا يستشير عقله فى هذه الشبهة أو يستقل ببحثها، ولكنه يرجع إلى الرسول عليه السلام يسأله عما حدث له ، والرسول (عليه السلام) بدوره يرشده إلى الحق ، ولهذا كانت نفوسهم راضية مطمئنة[1].

وكان الرسول ﷺ يعرض على الناس هذه العقيدة عرضاً كله السهولة والبساطة والمنطق ، فيلفت أنظارهم إلى ملكوت السماوات والأرض ويوقظ عقولهم إلى التفكير فى آيات الله وينبه فطرهم إلى ما غرس فيها من شعور بالتدين وإحساس بعالم ما وراء هذا العالم المادى .

---

(١) الأستاذ على مصطفى الغرابى ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

واستطاع بفضل الله تعالى بعد أن سار على المنهج المذكور أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد ويملأ قلوبهم بالإيمان واليقين كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة فى الإصلاح وأئمة فى الخير وأن يخلق جيلاً يعتز بالإيمان ويعتصم بالحق ، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للناس .

وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز فقال :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1] .

ولقد بلغ الإيمان ببعض هؤلاء الصحابة إلى درجة قال فيها: « لو كشف عنى الحجاب لما ازددت يقيناً » .

وفى حديث الحارث بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ما يعطينا الصورة المشرقة لهذا الإيمان .

فقد مر حارثة برسول الله ﷺ فقال له الرسول ﷺ : «كيف أصبحت ؟ » قال : أصبحت مؤمناً حقاً قال ﷺ : « انظر ماذا تقول فإن لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟» قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغنون فيها . فقال ﷺ : «عرفت يا حارثة فالزم » [2] .

(١) القرآن الكريم ، آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٢) السيد سابق ، المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦ والحديث رواه الطبرانى بسند ضعيف .

الفصل الرابع

العقيدة فى أيام الصحابة

رضى الله عنهم أجمعين

والمراد بالصحابة فى هذا الفصل الخلفاء الراشدين ، كان أمر العقائد فى عهدهم رضى الله عنهم على ما كان عليه فى عهد النبى ﷺ (١).

فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على ما سار عليه الرسول ﷺ من الاهتمام بما أمر الله سبحانه وتعالى به وترك ما نهى عنه ، أى أن اهتمامهم كان موجهاً إلى الأحكام العملية ولم يتعرضوا لشىء من الأمور الاعتقادية . وإذا جد جديد من الحوادث استشاروا كتاب الله وحديث رسوله، فإن وجدوا فيهما ما ينفع غلتهم فذاك ، وإلا رجعوا إلى قياس ما حدث على ما وقع فى عهد الرسول ﷺ وإذا لم يجدوا ما يقيسون عليه فإنهم أحياناً يرجعون للرأى الشخصى وتارة للمشورة حتى تطمئن قلوبهم إلى رأى فيعملون به ويحضون عليه .

هذا ما كان عليه أمر الصحابة الذين تعلموا فى مدرسة محمد ﷺ وتشبعوا بمبادئه (٢).

ووضح المقريزى هذه الحال أكثر وضوحاً فقال :

« ومن أمعن فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن معنى شىء وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٨٣ ، الدكتور محمد عبد الستار أحمد نصار ، المرجع السابق ، ص٤٩٣ .

(٢) الشيخ على مصطفى الغرابى ، المرجع السابق ، ص ١٤ - ١٥ .

محمد ﷺ ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات . نعم ، ولا فرق أحد منهم بين صفة ذات أو صفة فعل ، إنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقاً واحداً ، وهكذا أثبتوا -رضى الله عنهم- ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرضوا مع ذلك إلى تأويل شىء من هذا ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ، فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا[١] .

ولكن ليس كل المسلمين فى هذا العصر - عصر الخلفاء الراشدين - من أصحاب رسول الله ﷺ ، بل منهم أفراد من أمم أجنبية دخلت تحت حوزة الإسلام وحكمه ولم يفهموا روح الإسلام وما انطوى عليه وفى نفوسهم بقايا من ثقافاتهم ، ولكن لم تطغى هذه الثقافات وتلك الأمم فى هذا العصر كما سنرى مما سيكون له أثر فى «علم الكلام» عند المسلمين فيما بعد[٢] .

وهؤلاء الأفراد من الأمم الأجنبية قد تركت آثاراً فى قلوب المسلمين وتدل هذه الآثار على بداية الطريق لظهور علم الكلام، منها :

١ - ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بسارق فقال له : «لم سرقت ؟ فقال : قضى الله على . فأمر به فقطعت يده وضربه أسواطاً ، فقيل له فى ذلك ، فقال: القطع للسرقة، والجلد لما كذب على الله»[٣] .

---

(١) الشيخ على مصطفى الغرابى ، المرجع السابق ، ص ١٤ ، نقل عن كتاب «الخطط» ج٢ ص ١٨٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥ .

(٣) نفس المكان ، نقل عن كتاب «المنية والأمل» لابن المرتضى ، ص ٨ .

٢ - حديث الرجل الذى سأل الإمام علياً عند منصرفه من صفين : أكان مسيرنا بقضاء الله وقدره ؟

وذلك أنه لما انصرف على رضى الله عنه من صفين قام إليه شيخ فقال: أخبرنا عن سيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال على كرم الله وجهه : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما هبطنا وادياً ، ولا علونا تلعة إلا بقضاء وبقدر ، فقال الشيخ : عند الله أحتسب عنائى ما لى من الأجر شىء ، فقال الإمام على كرم الله وجهه : بل أيها الشيخ عظم الله لكم الأجر فى مسيركم وأنتم سائرون وفى منقلبكم وأنتم منقلبون ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين ، فقال الشيخ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقنا وعنهما كان مسيرنا ؟ ، فقال على رضى الله عنه : لعلك تظن قضاء واجباً وقدراً حتماً ، لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ولما كانت تأتى من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ، تلك مقالة إخوان الشيطان ، وعبدة الأوثان وخصماء الرحمن وشهود الزور وأهل العماء عن الصواب فى الأمور ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها. إن الله تعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً ، ولم يكلف مجبراً ولا بعث الأنبياء عبثاً ، ﴿**ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**﴾ ، فقال الشيخ : وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟ فقال الإمام : أمر الله وإرادته بذلك ، ثم تلا : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾ فنهض الشيخ مسروراً بما سمع[1].

هذه المناظرة تدل على أن نزعة المناظرة والمجادلة موجودة أيام الخلفاء الراشدين ولكنها فى نطاق محدود.

وإذا نظرنا إلى أيام الرسول ﷺ فإن هذه النزعة موجودة أيضاً، ولكنها لا تتطور لأن الرسول ﷺ موجود بين الصحابة رضى الله عنهم .

(١) الشيخ على مصطفى الغرابى ، المرجع السابق ، ص١٦ ، نقل عن «المنية والأمل» لابن المرتضى ص ٧ .

وقد وردت أحاديث الرسول ﷺ فى المنع عن الخوض فى القضاء والقدر وذكر هذه الأحاديث الإمام مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه[١].

وفى أيام التابعين رحمهم الله تعالى أخذت المناظرة تأخذ صورة واضحة وتتطورت هذه الصورة حتى نشأت الفرق الإسلامية .

(٢) الإمام النووى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٦ (كتاب القدر) .

الفصل الخامس
علم الكلام ونشأته

وعلم الكلام علم إسلامى أنتجه المفكرون المسلمون للدفاع عن العقيدة الإسلامية بمنهج عقلى ، واهتم العلماء به اهتماماً بالغاً قديماً وحديثاً وفى أيامنا الحالية نجد الجامعات الإسلامية تدرس هذا العلم لطلابها والأزهر الشريف خاصة ، مما يدل على مكانة هذا العلم العظيمة بين العلماء .

بالإضافة إلى ذلك قد أطلق العلماء على هذا العلم أسماء كثيرة وألفوا فيه مؤلفات استفدنا منها كثيراً وخاصة مؤلفات العلماء الأشاعرة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

وسنتحدث فى هذا الفصل بإذن الله تعالى عن موضوعات منها أسماء هذا العلم وتعاريفه وموضوعه وفوائده وآراء العلماء فى دراسته وغيرها من الموضوعات التى نحتاج إليها فى دراسة هذا العلم .

أسماء علم الكلام وأسباب التسمية :

ومن الأسماء التى أطلقت على هذا العلم :

١ - الفقه الأكبر ، فلقد سماه أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧م) ، بالفقه الأكبر من حيث إنه يتعلق بالأحكام الاعتقادية الأصلية فهى فى مقابل علم الفقه الذى يتعلق بالأحكام الفرعية العملية [١] ، فقد قال عنه أبو حنيفة إنه الفقه الأكبر فى مقابل الفقه الأصغر[٢].

٢ - علم النظر والاستدلال ، لأنه يستخدم العقل كما يستخدم النقل ، وهو لا يستخدم النص والنقل فقط بل يعتمد أيضاً على العقل فى بحث

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٦٥ ، الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، الفرق الكلامية الاسلامية ، ص ١٥ ، الدكتور فيصل بديرعون ، علم الكلام ومدارسه ،ص ٥٣ . (٢) الدكتور فيصل بديرعون ، نفس المكان .

مشكلاته[١].

٣ - علم التوحيد والصفات ، لأن أهم مسائله التوحيد الإلهى وتنزيه الله عن كل ما عداه وعلاقة الصفات الإلهية بذات الله وعلاقة الله بالعالم وإثبات وحدانية الله . . . .[٢].

٤ - علم أصول الدين من حيث إن موضوعه يتناول أصول الدين وهى الإيمان بالله تعالى ووحدانيته تعالى وصفاته وأفعاله والإيمان بالوحى وإرسال الله تعالى للرسل والإيمان بالبعث والثواب والعقاب فى الآخرة وتلك أصول الدين [٣].

٥ - علم العقيدة من حيث إن موضوعه يتناول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

٦ - علم الكلام وهو المشهور والشائع بين المسلمين وذلك يرجع إلى أسباب منها :

الأول : أن مسألة الكلام الإلهى كانت أشهر مباحثه فسمى الكلام باسم أشهر أجزائه[٤].

الثانى : وأنه يورث القدرة على الكلام فى الأمور الشرعية والعقدية مع الآخرين [٥]. فسمى به تسمية للسبب باسم المسبب[٦].

الثالث : وأن نسبة هذا العلم للعلوم الإسلامية كنسبة المنطق إلى الفلسفة[٧] لأنه فى بيان طرق الاستدلال على أصل الدين أشبه بالمنطق فى تبيينه مسالك الحجة فى علوم أهل النظر وأبدل الكلام بالمنطق للتفرقة بينهما[٨].

---

(١) الدكتور عامر النجار ، علم الكلام تعريفه وعوامل نشأته ، ص ١١ .

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، الدكتور فيصل بدير عون ، المرجع السابق، ٥٣ . (٣) الدكتور على عبد الفتاح المغربي ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٤) نفس المكان . (٥) الدكتور عامر النجار ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٦) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٥ . (٧) نفس المكان .

(٨) الدكتور فيصل بديرعون ، المرجع السابق ، ص ٥٤ (رسالة التوحيد) .

الرابع : وأن مبناه الدليل العقلى وأثره يظهر من كل متكلم فى كلامه وقلما يرجع فيه إلى النقل اللهم إلا بعد تقرير الأصول الأولى ثم الانتقال منها إلى ما هو أشبه بالفرع عنها وإن كان أصلاً لما يأتى بعدها [١] .

الخامس : وأن البحث فى أمور العقائد كان يسمى كلاماً قبل تدوين هذا العلم وكان يسمى أهل هذا البحث متكلمين ، فلما دونت الدواوين وألفت الكتب فى هذه المسائل ، أطلق على هذا العلم المدون ما كان لقباً لهذه الأبحاث قبل تدوينها علماً على المتعرضين لها [٢] .

وهذه الأسباب لها محلها وتقديرها فى الدراسات الكلامية وكل واحد منها يعتمد على وجهة نظر معينة وهى صحيحة وخاصة عند متابعة نشأة علم الكلام ، فتعدد الأسباب فى التسمية ناتج عن تعدد وجهة نظر الباحثين وهذا من طبيعة الإنسان .

وعندنا أن أقوى سبب يمكن الاطمئنان إليه فى تعليل هذه التسمية هو السبب الأول الذى يظهر منه أن التسمية ترجع إلى الخلافات الكبيرة التى نشأت فى القرون الأولى حول القرآن-كلام الله- هل هو محدث أم قديم[٣].

وتأتى بعد ذلك الأسباب الأخرى التى ذكرناها اعتماداً على دراسة الباحثين فى هذا المجال .

تعاريف علم الكلام :

عرفه العلماء بتعاريف كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر لأنه لا سبيل لنا إلى ذلك .

ومن التعاريف التى ذكرها العلماء :

١ - تعريف الفارابى ، بأنه «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء

(١) نفس المكان .

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٣) الدكتور فيصل بدير عون ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

والأفعال المحمودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل» [١] .

٢ - تعريف الأيجى ، بأنه « علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه » ، ثم قال : « والمرد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام[٢] .

٣ - تعريف ابن خلدون ، بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانيه بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة [٣].

وهناك تعاريف غير التعاريف التى ذكرناها ، ويمكننا أن نستخلص بناء عليها أن علم الكلام يقوم أساساً على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية والدفاع عنها من الانحرافات سواء كانت صادرة عن الديانات السماوية أو الديانات الشرقية الوثنية .

وعلى هذا يمكننا القول بأن لعلم الكلام دوراً إيجابياً فى إثبات صحة العقيدة بالعقل ودوراً دفاعيًا يقوم بالدفاع عن العقيدة ضد الخصوم المنكرين لها - ولقد تلازم الدوران عبر مراحل نشأة علم الكلام وتطوره وليس صحيحاً ما يذكر بأن مهمة علم الكلام كانت دفاعية فقط ولم يهتم بتوضيح العقيدة وشرحها[٤].

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١١ ، الدكتور فيصل بدير عون، المرجع السابق ، ص ٤٩ ، والدكتور عامر النجار المرجع السابق ، ص ٧ ، نقلوا التعريف عن إحصاء العلوم للفارابى ، تحقيق الدكتور عثمان أمين .

(٢) القاضى عد الرحمن بن أحمد الأيجى ، المواقف فى علم الكلام ، ص ٧ .

(٣) الدكتور فيصل بدير عون ، المرجع السابق ، ص ٥٠ ، الدكتور عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١١ نقل عن مقدمة ابن خلدون ، الشيخ مصطفى عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٤) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

ويلاحظ أيضاً وفقاً لهذه التعريفات أنه لا بد أن يكون لدى المتكلم القدرة التامة على إثبات العقائد ، إذ إن فى استخدام صيغة «الاقتدار» تنبيه على القدرة التامة وعلى علم بجميع العقائد وما يتوقف عليه إثباتها من الأدلة ورد الشبه وكذلك العلم بطرق الأدلة العقلية [١] .

والحقيقة أن هذه التعريفات لعلم الكلام تظهر فائدة هذا العلم فهى تعريفات من ناحية الفائدة وبذلك كانت ناقصة غير جامعة.

والتعريف الذى نحتاج إليه هو الذى يصور هذا العلم تصويراً واضحاً مناسباً لفهم الناشئين ومثال ذلك : علم الكلام هو العلم الذى يبحث فيه عن العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية إثباتاً لصحتها ودفاعاً عنها .

لقد جمع هذا التعريف بين البداية والنهاية وبعبارة أخرى : جمع بين الموضوع والهدف مع ذكر الوسيلة إليه

موضوع علم الكلام :

وموضوع علم الكلام هو العقائد الإسلامية التى جاء بها الإسلام من عند الله تعالى بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ .

والعقائد الإسلامية هى الأمور المعلومة التى كلفنا بتصديقها بقلوبنا واعتقادها فى أنفسنا مع الإقرار بألسنتنا ، وهى التى تقررت بقول الرسول ﷺ حين سئل عن الإيمان فقال : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» [٢] .

ويدرس علم الكلام هذه الأمور دراسة عقلية بمعنى أنه يدرسها فى محاولته إثباتها فى النفوس بأدلة عقلية والدفاع عنها ضد المنكرين لها .

والمتكلم يستدل فى أكثر أحواله بالكائنات وأحوالها على وجود البارى

---

(١) نفس المكان .

(٢) الإمام مسلم رحمه الله تعالى ، صحيح مسلم ، ج ١ ص ٢٩ .

وصفاته وهو نوع استدلاله غالباً ، وحتى إذا نظر المتكلم فى الموضوعات الطبيعية فإنما ينظر فيها من حيث إنها تدل على الفاعل أو الموجد [١] .

ويلاحظ أن المباحث الطبيعية عند المتكلمين ليست بقصد تفسير العالم وإنما القصد منها إثبات أن العالم حادث وليس قديماً وهو فى حاجة إلى من يحدثه أى من حيث دلالة العالم على وجود الله تعالى ووحدانيته [٢] .

فوائد علم الكلام :

ولعلم الكلام فوائد ذكر منها الأيجى وهى :

الفائدة الأولى: الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .

الفائدة الثانية : إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة .

الفائدة الثالثة: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.

الفائدة الرابعة : أن يبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها .

الفائدة الخامسة : صحة النية والاعتقاد ، إذ بها يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين [٣] .

وهذه الفوائد تدل دلالة واضحة على أهمية هذا العلم فى الإسلام ومكانته العظيمة فى الدراسات الإسلامية قديماً وحديثاً .

آراء العلماء فى علم الكلام :

وإذا نظرنا إلى أقوال العلماء فى علم الكلام وجدنا أنها تنقسم إلى قسمين:

(١) الدكتور أحمد محمود صبحى ، فى علم الكلام ، جـ١ ، ص ٣ ، الاقتباس بتصرف ، نقل عن المقدمة لابن خلدون .

(٢) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣) القاضى عبد الرحمن بن أحمد الإيجى ، المصدر السابق ، ص ٨ .

القسم الأول : المعارض أو الرافض أو المهاجم .

القسم الثانى : المؤيد أو الموافق أو الناصر .

هذه كلمات استخدمها الباحثون فى دراساتهم عن مواقف العلماء إزاء علم الكلام .

المعارضون لعلم الكلام رأوا أن فى الاشتغال فيه مضرّة بالغة وأن الدين قد نهى عنه [١] .

ويمكننا أن نوجز موقف المعارضين فى عدة نقاط :

أولاً: أن أصحاب هذا الرأى يرون أن فى الكتاب والسنة الغنى عن كل مصدر آخر لمعرفة الله عز وجل وإثبات توحيده وصفاته وأسمائه الحسنى . . وأن الكتاب قد نزل فيه تبيان لكل شئ . . وأن الرسول ﷺ قد قام بالتبليغ . . ولقد نزل قوله تعالى مبيناً إتمام الدين ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [٢] ، ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة إليه أبدًا فى كل وقت ومكان ، ولو أخر عن البيان لكان لكل التكليف واقعاً بما لا سبيل للناس إليه . . وذلك فاسد غير جائز [٣] ، وعلى هذا فإن الله تعالى قد استوفى أصول الدين فى الكتاب ووضحها الرسول ﷺ وبذا لم يكل الناس إلى عقولهم فى شىء من الدين .

ثانياً : أن أصحاب هذا الرأى آثروا الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون من عزوف عن البحث والنظر فى الدين فإنهم يرون أن النظر العقلى فى أصول الدين لو كان خيراً لما فات النبى ﷺ وأصحابه ولتكلموا فيه . . وقالوا إن الأمر لا يخلو من وجهين :

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، بتصرف .

(٢) القرآن الكريم ، المائدة الآية ٣ .

(٣) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع ، ص ١١٠ ، نقل عن السيوطى رحمه الله تعالى . صون المنطق ، ج ١ ص ١٤١ .

إما أن يكون علموه فسكتوا عنه أو لم يعلموه بل جهلوه . . فإن كانوا علموه ولم يتكلموا فيه وسعنا نحن السكوت عنه كما وسعهم السكوت عنه، ووسعنا ترك الخوض كما وسعهم ترك الخوض فيه لأنه لو كان من الدين ما وسعهم السكوت عنه ، وإن كانوا لم يعلموه وسعنا جهله كما وسع أولئك جهله [١] .

ثالثاً : ما يتولد من استخدام علم الكلام من شر . . وذلك كخشية الفتنة بسبب استخدام المصطلحات الكلامية التى لم يأت بها الكتاب والسنة . . . إذ لم يدل الرسول ﷺ الناس فى أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر . . . فضلاً عما أدت إليه هذه المصطلحات عن منازعات وخصومات بين المسلمين لعدم الاتفاق على مدلولاتها وتركيباتها فأصبح لكل فرقة تشقيقات كلامية تختلف عن غيرها وظهرت الفرقة بين صفوف المسلمين[٢] .

ومن المعارضين والرافضين لعلم الكلام :

١ - الإمام مالك رحمه الله تعالى .

٢ - الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله تعالى .

٣ - الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى .

٤ - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

٥ - الشيخ عبد الله الأنصارى الهروى رحمه الله تعالى .

وإذا نظرنا إلى أقوال هؤلاء العلماء الذين يعارضون علم الكلام نفهم منها أنهم عارضوه لأسباب منها : أن الناس فى أيام هؤلاء العلماء رحمهم الله

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١١١ نقل الإمام الأشعرى فى كتاب استحسان الخوض فى علم الكلام .

(٢) نفس المكان ، نقل عن صون المنطق للسيوطى ج ١ ص ١٤٢ .

تعالى يستخدمون الجدل استخداماً سيئاً إذ غايتهم فى كلامهم الجدل نفسه وليس سبيلاً إلى الحقيقة ، لقد جعلوا الجدل سبيل إفحام الخصم وتكفيره، وقد أدى هذا الأمر إلى حدوث الفتنة والفرقة بين جماعة المسلمين .

وعلى سبيل المثال :

كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى نهى ابنه حماد عن الاشتغال بالكلام وقد قال حماد : رأيتك وأنت تتكلم فما بالك تنهانى ؟ فقال : يا بنى كنا نتكلم وكل واحد منا كأن على رأسه الطير مخافة أن يزل صاحبه وأنتم اليوم تتكلمون . . كل واحد يريد أن يزل صاحبه ومن أراد أن يزل صاحبه فكأنه أراد أن يكفر ، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه [١] .

وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه من الأئمة الذين يذمون علم الكلام على الرغم من اشتغاله بعلم الكلام فترة قليلة ، يقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : « إياكم والنظر فى الكلام فإن الرجل لو سُئل عن مسألة الفقه فأخطأ فيها كان أكثر شئ أن يضحك منه عليه ، ولو سئل عن مسألة فى علم الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة ، لقد رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضاً ، ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضاً والتخطئة أهون من الكفر » . . وكان حكمه فى أصحاب الكلام . . أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل منكسين ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام [٢] .

يبدو من المثالين المذكورين أن من أسباب معارضتهم علم الكلام سوء استخدام المتكلمين للجدل أيام الإمامين خاصة وأيام غيرهما عامة .

وذكر الإمام الرازى رحمه الله تعالى أن الإمام الشافعى رحمه الله لما عرف أن البحث عن هذا العلم فى ذلك الزمن ليس لطلب الحق وليس فى الله

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) الدكتور عامر النجار، المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

ولله، بل لأجل الدنيا فلا جرم إن تركه وأعرض عنه وذم من اشتغل به[١].

وإذا رجعنا إلى أقوال المعارضين بصفة عامة وموقفهم من علم الكلام يمكننا أن نقول إن هؤلاء المعارضين يغفلون تطور الفكر الإسلامى وعلم الكلام خاصة والعوامل التى أدت إلى نشأة هذا العلم والهدف من إنشائه من إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عنها وتوضيحها بأدلة عقلية واضحة .

فلا يجوز لهم أن يتمسكوا بأنه لم يؤثر عن النبى ﷺ أو عن الصحابة الخوض فى مسائل علم الكلام ، لأنه يمكن أن يقال رداً عليهم بأن أمثال هذه المسائل لم تحدث ولم تثر فى عهد النبى ﷺ وعهد الصحابة لذا لم يؤثر عنهم الخوض فيها ، لقد كانوا يعملون فى نشر الإسلام والدفاع عنه بأموالهم وأنفسهم فلا وقت لهم للخوض فى أمثال هذه المسائل وبدأ المسلمون الاهتمام بالعلوم بعد أن استقرت أمورهم فى السياسة والاقتصاد وغيرهما .

ولا يجوز القول بأن هذا العلم بدعة (على الإطلاق) وأن استخدام مصطلحات الجوهر والعرض وغيرهما لم تعهدها الصحابة رضى الله عنهم لأنه يمكن الرد عليهم بأن العلوم الإسلامية لم تكن فى عهد الصحابة بل تكونت من بعدهم . . وأيضاً أن هذه المصطلحات من أجل فهم العلم وتفسيره . . ولكل علم مصطلحاته كالحديث والتفسير والفقه وغير ذلك من العلوم فلا غضاضة فى استخدام تلك المصطلحات [٢].

المؤيدون والمجيزون - الاشتغال بعلم الكلام :

والحقيقة أن هناك عدداً كبيراً من علماء المسلمين جوزوا الاشتغال بعلم الكلام ومسائله . ومن هؤلاء العلماء المجوزين «أبو الحسن الأشعرى » الذى وضع رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام ، رد فيها على دعوى الحنابلة الذين ذموا علم الكلام ونهوا عن الخوض فيه [٣] .

---

(١) نفس المكان .

(٢) الدكتور عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١١١ و ١١٢ وقد اقتبسنا بعض آراء المؤلف بالمعانى مع إضافة معان أخرى .

(٣) الدكتور عامر النجار ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

ومن بعده نجد الأشاعرة أمثال الباقلانى والجوينى والغزالى رحمهم الله تعالى يوضحون أهمية النظر فى الدين .

وقد ذكر القاضى عبد الرحمن بن أحمد الأيجى فوائد علم الكلام فى كتابه «المواقف فى علم الكلام» فى المقصد الثالث فى الصفحة الثامنة (طبع عالم الكتب بيروت) وقد ذكرنا هذه الفوائد فى صفحتى الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من هذه المقدمة .

وأحسن موقف فى هذا الموضوع هو التوسط بين المعارضة المطلقة والتأييد المطلق .

وأصحاب هذا الموقف يميزون بين موضوعات علم الكلام . . فمنه الكلام المحمودومنه الكلام المذموم . . وأيضاً من حيث المشتغلين به والممنوعين من الاشتغال به .

والكلام المحمود هو المباحث الخاصة بإثبات الواجب لله تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الإسلام . . وهذه المسائل أصل العلوم الشرعية وأساسها وهى تفصيل الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على وجه الإيقان والإتقان .

. . . . . ومعرفة هذه المباحث على وجه الإجمال فرض عين على كل مسلم وعلى وجه التفصيل من فروض الكفاية .

وأيضاً فيه حراسة العقيدة على العوام . . وحفظها على تشويشات المبتدعة وهذه من فروض الكفاية . . ولقد رأى الغزالى رحمه الله أن دراسة الكلام من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما . . .[1] .

وقد وضح الإمام الغزالى رحمه الله تعالى رأيه فى موضوع علم الكلام

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١١٢ ، نقل هذا الرأى من الإحياء للغزالى .

فى كتبه منها : إحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال والاقتصاد فى الاعتقاد وغيرها .

أما المذموم من الكلام . . فهو الكلام المخالف للكتاب والسنة كإدخال مسائل لا توافق الكتاب والسنة أو إثبات مسائل على وجه لا يوافق الكتاب والسنة [١] .

نشأة علم الكلام :

الدراسة فى نشأة علم الكلام هى الدراسة عن الحركة الفكرية الإسلامية التى قد مرت بمراحل عديدة شأنها شأن العلوم الإسلامية الأخرى التى قد نشأت وتطورت بعد مرور مراحل كثيرة حتى وصلت إلى الصورة الكاملة .

والحركة الفكرية فى الإسلام تنقسم إلى ثلاث حركات اعتماداً على رأى الإمام محمد أحمد أبى زهرة وهى :

١ - الحركة الفكرية فى السياسة أو حركة فكرية سياسية

٢ - الحركة الفكرية فى الاعتقاد أو حركة فكرية اعتقادية .

٣ - الحركة الفكرية فى الفقه أو حركة فكرية فقهية .

وعبر الإمام أحمد أبو زهرة عن هذه الحركات بـ «المذاهب الإسلامية»[٢] . فقال فى تقسيم هذه المذاهب: مذاهب سياسية ومذاهب اعتقادية ومذاهب فقهية .

والحقيقة أن هناك حركات فكرية إسلامية أكثر من المذكورة منها : الحركة الفكرية الفلسفية والحركة الفكرية الصوفية والأخلاقية وغير ذلك من الحركات الفكرية التى كانت سبباً فى تقدم الفكر البشرى فى الغرب .

---

(١) نفس المرجع، ص ١١٣، نقل عن طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ج ٢، ص ١٥٧ ١٥٨

(٢) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المذاهب الإسلامية ، ص ٢٧ .

مراحل نشأة علم الكلام :

ليس كل كاتب فى نشأة الكلام يتحدث عن المراحل التى مر بها علم الكلام ، لذلك من الصعوبة أن تقدم فكرة دقيقة فى المراحل التى مرت بها الحركة الفكرية الكلامية .

والمراحل التى سنذكرها فى هذه المقدمة ليست معتمدة على دراسة دقيقة لأن مثل هذه الدراسة تحتاج إلى دراسات تاريخية تحليلية ونقدية حتى نستطيع أن نقدم صورة صحيحة عن المراحل التى مرت عليها الحركة الفكرية المذكورة.

وبناء على الدراسة السريعة فى الحركة الفكرية الكلامية نقول إن نشأة علم الكلام قد مرت مراحل عديدة منها :

١ - **المرحلة الأولى** : مرحلة بناء المبادئ وهى العقائد التى جاء بها الرسول ﷺ مع المناهج التى سار عليها بنجاح شهد له التاريخ الإسلامى والتاريخ البشرى بصفة عامة . وهذه المرحلة كانت فى أيام الرسول ﷺ . وعلم الكلام فى هذه المرحلة لم يظهر شأنه شأن العلوم الإسلامية الأخرى ولكن موضوعاته قد وضعت وكذلك مناهج دراسته فى إثبات العقائد والدفاع عنه وهى كيفية الاستدلال فى محاولته للوصول إلى يقين عقلى .

والقرآن الكريم حافل بهذه المناهج وعلى سبيل المثال :

قال الله تعالى : **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾** [١] .

وقال : **﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾** [٢] .

---

(١) القرآن الكريم ، الغاشية ، الآية ١٧ - ٢٠ .

(٢) القرآن الكريم ، الطارق ، الآية ٥ - ٧ .

وأمثال هذه الآيات كثيرة وهى الآيات الكونية التى تدل للمفكرين دلالة واضحة على وجود الخالق وهى دلالة عقلية يقينية .

وفى الحديث النبوى الشريف وضع الرسو ل الكريم حداً فاصلاً لموضوع التفكير الإسلامى فى حركته للوصول إلى معرفة الله تعالى، قال ﷺ: « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرون قدره » (١) .

وأمثال هذا الحديث كثيرة ذكرها الإمام السيوطى رحمه الله تعالى فى الجامع الصغير .

وفى هذا الحديث يبدو واضحاً مجال التفكير فى الإسلام وهو «الخلق» وبعبارة أخرى « الكون كله » أو « العالم» والعالم ما سوى الله تعالى .

والتفكر فى مخلوقات الله تعالى يؤدى إلى معرفة عظمته تعالى وقدرته وهذا لا شك يقوى العقائد الإسلامية الموجودة فى القلوب .

بالإضافة إلى ذلك لقد وضع القرآن الكريم منهجاً لمواجهة الكفار من المشركين واليهود والنصارى وهو «الجدل» فقال تعالى:

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (٢) .

والجدال هو المناظرة والمحاورة مع الآخرين ، وذكر معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الجدال قد يكون بالباطل ليصرف عن الحق وقد يكون بالحق ليدحض الباطل ، والمقام هو الذى يعين المراد (٣) .

والظاهر فى الآية المذكورة أن الجدال المسموح فى الإسلام هو الجدال بالحق ليدحض الباطل .

والإنسان فى طبيعته يميل إلى الجدل بصريح القرآن الكريم فى قوله تعالى:

---

(١) السيوطى ، الجامع الصغير ، ج ١ ص ١٣٢ .

(٢) القرآن الكريم ، النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، فى مادة «جدل» .

﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ [١] . والقرآن الكريم أرشد المسلمين فى الجدال لكى لا يقعوا فى الجدال بالباطل وطلب منهم أن يجادلوا أهل الكتاب بالتى هى أحسن ، وهذا واضح فى قوله تعالى :

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ [٢] .

فكل هذه البيانات تدل على أن مبادئ علم الكلام قد وجدت فى أيام الرسول ﷺ .

٢ - **المرحلة الثانية** : مرحلة النمو التى تطورت فيها المناظرة والمجادلة والمحاورة بين المسلمين بأسباب سنذكرها فيما بعد إن شاء الله فى أسباب نشأة علم الكلام . وهذه المرحلة هى أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأيام الإمام على كرم الله وجهه خاصة .

وكان الإمام على كرم الله وجهه مناظراً بارعاً فى العقائد الإسلامية واعتبره الإمام عبد القاهر البغدادى أول متكلمى أهل السنة من الصحابة فقال : «أول متكلمى أهل السنة من الصحابة على بن أبى طالب لمناظرته الخوارج فى مسائل الوعد والوعيد ومناظرته القدرية فى القدر والقضاء والمشيئة والاستطاعة [٣] .

وظهرت فى هذه المرحلة الفرق الكلامية من الشيعة والخوارج والمرجئة التى نشأت بسبب الخلافة الإسلامية ولكنها تغيرت حالتها وأصبحت فرق دينية محضة .

المرحلة الثالثة : مرحلة الظهور والانتشار وهى مرحلة ما بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين وتتمثل هذه المرحلة فى أيام بنى أمية وقد ظهر فيها الكلام وانتشر ونشأت فيها مذاهب كلامية .

---

(١) القرآن الكريم ، الكهف ، الآية ٥٤ . (٢) القرآن الكريم ، العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٣) الدكتور عامر النجار ، المرجع السابق ، ص ١٦ ، نقل عن كتاب «أصول الدين» للإمام عبد القاهر البغدادى .

المرحلة الرابعة : مرحلة الكتابة والتدوين فى أيام الخلافة العباسية التى دونت فيها العلوم الإسلامية وعلم الكلام منها وظهرت فيها مؤلفات ودراسات كتبها علماء كل مذهب من المذاهب الكلامية .

والدراسات فى علم الكلام مستمرة ومتقدمة من جيل إلى جيل آخر حتى القرن العشرين وأصبحت الدراسات الكلامية فى الجامعات الإسلامية قد أخذت مكانتها العظيمة واهتم بها الباحثون اهتماماً بالغاً وفى الأزهر الشريف خاصة .

عوامل نشأة علم الكلام :

وقسم الباحثون عوامل نشأة علم الكلام إلى قسمين :

القسم الأول : العوامل الداخلية .

القسم الثانى : العوامل الخارجية .

والمراد بالعوامل هى الدوافع أو الأسباب التى أدت إلى نشأة علم الكلام وظهوره بين العلوم الإسلامية الأخرى .

العوامل الداخلية هى العناصر الموجودة داخل المجتمع المسلم التى كانت أسباباً فى نشأة علم الكلام منها :

١ - القرآن الكريم :

ذهب الباحثون إلى أن القرآن الكريم من أقوى العوامل فى نشأة علم الكلام لاشتماله على الموضوعات التى هى أهم موضوعات علم الكلام واشتماله على المناظرة والمجادلة والمبادئ الفكرية والأدلة العقلية اليقينية والحث على التفكر فى المخلوقات كما هو واضح فى سورة الغاشية الآية ١٧ - ٢٠، وذم الذين لا يستخدمون عقولهم فى التفكير فى البحث عن الحق . قال الله تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم**

أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [١] .

وقال : ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ [٢] .

٢ - الحديث النبوى الشريف :

إذا كان القرآن الكريم يعتبر أقوى العوامل فى نشأة علم الكلام فى رأى الباحثين ، فإن الحديث النبوى الشريف لا يقل تأثيراً فى هذه النشأة وقد أمر الرسول الكريم ﷺ المسلمين أن يتفكروا فى المخلوقات للوصول إلى معرفة الله تعالى فقال ﷺ :

«تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله تعالى فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك»أبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس.

«تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا» أبو الشيخ عن أبى ذر.

« تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرون قدره » أبو الشيخ عن ابن عباس .

« تفكروا فى آلاء الله » ، أبو الشيخ ، الطبرانى فى الأوسط، وابن عدى والبيهقى عن ابن عمر .

« تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله »،أبو نعيم عن ابن عباس [٣] .

وقال النبى ﷺ : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون » [٤] .

وقال : «تعلموا من العلم ما شئتم فوالله لا تؤجرون بجمع العلم حتى تعملوا » ، أبو الحسن بن الأخرم المدينى فى أماليه عن أنس [٥] .

---

(١) القرآن الكريم ، الأعراف ، الآية ١٧٩ . (٢) القرآن الكريم ، الملك ، الآية ١٠ .

(٣) السيوطى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٣١ ، ابن عدى والخطيب عن معاذ بن عساكر عن أبى الدرداء .

(٥) نفس المكان .

وقال : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وابن عساكر عن على كرم الله وجهه حديث حسن [١] .

وهذه الأحاديث قد دفعت المسلمين للدراسات والأبحاث التى تنفعهم فى دينهم ودنياهم وبينت هذه الأحاديث أن العلوم لا نفع لها إلا إذا اقترنت بالأعمال التى يرضاها الله تعالى .

وحقًا قد بذل المسلمون فى طلب العلم من كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة واستفادوا من العلوم التى أنتجتها الأمم الأجنبية واستفاد من المسلمين الغربيون فى كثير من العلوم .

٣ - الأحداث السياسية :

لقد لعبت الأحداث السياسية فى البيئة الإسلامية دوراً مهماً فى نشأة علم الكلام وذلك لارتباطهما بالعقائد ، فلقد حاول كل فريق مناصرة رأيه بأن يوجد له أساساً فى الدين ، فأدى ذلك إلى تأويله للآيات القرآنية بما يتفق مع مذهبه وأن يضع من الأحاديث ما يناصر رأيه وأدى ذلك كله إلى صبغ العقيدة بصبغة فلسفية وفهم للعقيدة ذى مسحة عقلية [٢] .

ومن هذه الأحداث ظهرت الشيعة والخوارج والمرجئة وكل واحدة من هذه الفرق تنقسم إلى فرق كثيرة .

العوامل الخارجية :

ومن العوامل الخارجية التى أدت إلى نشأة علم الكلام :

١ - احتكاك المسلمين مع أصحاب الديانات الشرقية القديمة من الصابئة ، والبراهمة ، والمانوية ، والمجوس .

---

(١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٢) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٢ - اختلاط المسلمين باليهود والنصارى .

٣ - ترجمة الحضارات الأجنبية من اليونانية والفارسية والهندية وغيرها .

واجه المسلمون مشاكل كثيرة بعد أن احتكوا مع الأجانب من أصحاب الديانات الشرقية القديمة وحدثت بين المسلمين وبين هؤلاء الناس لقاءات ومناقشات ومناظرات دينية ، وكذلك حدثت المناقشات والمناظرات بين المسلمين وبين اليهود والنصارى فى العقائد الدينية . كل هذه المناقشات والمناظرات قد أدت إلى نشأة علم الكلام .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن تأثير الفلسفة اليونانية والمنطق خاصة واضح فى هذه النشأة وكذلك الفلسفات الأخرى قد أثرت كذلك .

أهمية علم الكلام فى العصر الحديث :

نختم هذا الفصل بأهمية علم الكلام فى العصر الحديث الذى بلغ فيه العقل البشرى قمته فى التقدم الحضارى المادى .

لقد قدمنا فى الصفحات السابقة أن علم الكلام يهدف إلى إثبات العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية اليقينية والدفاع عنها من شبهات المنكرين على هذه العقائد .

إذا كان الأمر كذلك فإن المسلمين اليوم فى أمس الحاجة إلى إثبات العقائد الإسلامية فى نفوسهم وأن ما أصاب المسلمين من تخلف فى مجالات كثيرة فى الحياة والسياسة والاقتصاد وشئون الإدارة والتنظيم وغيرها ترجع إلى عدم تمسكهم بعقائد دينهم الإسلامى .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن أعداء العقائد الإسلامية من اليهود والنصارى وأنصارهم من العقائد الفاسدة المفسدة تزداد قوة وتستخدم جميع أنواع الأسلحة فى محاولتها لتدمير هذه العقائد وتحاول باستمرار فى تشكيك أبناء المسلمين بتقديم صور مشوهة عنها .

إذا كان أعداء العقائد الإسلامية تستخدم أنواعًا من الأسلحة الفكرية منها والمادية ، فإن علماء علم الكلام اليوم يحتاجون إلى تجديد فى المناهج حتى يستطيعوا أن يؤدوا واجباتهم فى إثبات هذه العقائد الإسلامية فى نفوس المسلمين والدفاع عنها من المنكرين عليها والمخططين دائماً لتدميرها بأى وسيلة فى وقت وزمان .

وهذا أمر لا يرفضه المنصفون لأن لكل عصر منطقه فعلينا نحن المسئولين فى هذا المجال أن نخاطب أهل العصر الحديث على قدر منطقهم .

ويحتاج هذا الموضوع إلى دراسات وأبحاث ولقاءات علمية كلامية من المتخصصين حتى نستطيع أن نقدم مناهج مناسبة لعقول هذا العصر ونستطيع بذلك خدمة الإسلام فى مجال العقيدة وهو المجال الذى تبنى عليه المجالات الأخرى من الشريعة والأخلاق وغيرهما .

الفصل السادس

الفرق الكلامية الإسلامية

ومن الفرق الكلامية الإسلامية التى نتحدث عنها فى هذا الفصل باختصار هى : الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية والجبرية والمعتزلة والأشعرية والمجسمة والمشبهة .

الشيعة :

وتطلق كلمة « الشيعة » فى اللغة على : الفرقة والجماعة ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا** ﴾ (١) وتطلق على : الأتباع والأنصار وفى التنزيل : ﴿ **فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه** ﴾(٢)، ويقال: هم شيعة فلان وشيعة كذا من الآراء(٣). وتطلق على الشبه والمثل وجاءت فى القرآن الكريم كلمة الشيعة بهذا المعنى بصيغة الجمع فى قوله تعالى:﴿ **كما فعل بأشياعهم من قبل** ﴾ (٤) .

وتطلق الشيعة فى اصطلاح الباحثين من الفقهاء والمتكلمين على أتباع الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وبنيه رضى الله عنهم .

والشيعة هم الجماعة الذين « شايعوا » الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه - بعد موت الرسول ﷺ ونادوا بإمامته(٥).

وذكر الإمام أبو الحسين على بن إسماعيل فى مقالاته أنهم إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ (٦).

---

(١) القرآن الكريم ، مريم ، الآية ٦٩ .
(٢) القرآن الكريم ، القصص ، الآية ١٥ .
(٣) المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٥٢٣ .
(٤) القرآن الكريم ، سبأ ، الآية ٥٤ .
(٥) الدكتور فيصل بدير عون ، علم الكلام ومدارسه ، ص ٦٩ .
(٦) الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٦٥ .

وذكر ابن خلدون أن الشيعة متفقون على أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وأن علياً رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم . . . [١] .

نشأة التشيُّع :

وترجع نشأة التشيع إلى ظهور أول خلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، إذ ظهر اتجاه يقول بأحقية بنى هاشم للخلافة لأنهم أقرب القرشيين للرسول ﷺ [٢] .

وبهذا الرأى يظهر أن نشأة التشيُّع سياسية وهذا رأى أكثر الباحثين فى هذا الموضوع .

وذهب الشيعة إلى أن الرسول ﷺ قد عين الإمام على بن أبى طالب-كرم الله وجهه - خليفة للأمة بعد النبى ﷺ ، اعتماداً على النصوص الموجودة عندهم وتنقسم هذه النصوص إلى قسمين :

١ - القسم الأول : الجلى . ٢ - القسم الثانى : الخفى .

والمراد بالجلى هو النص الصريح الذى يدل على اختيار الرسول ﷺ للإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه - فى الخلافة ومثل ذلك قوله ﷺ :

« من كنت مولاه فعلى مولاه ». « أقضاكم على» (كرم الله وجهه).

« من يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الأمر من بعدى»[٣] ، فلم يبايعه إلا على (كرم الله وجهه) [٤] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٧ .

(٢) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ . (٤) نفس المكان .

ذكر ابن خلدون أن الشيعة قالوا : لم تطرد الولاية إلا فى على -كرم الله وجهه- ، ولهذا قال له عمر رضى الله عنه ، ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولى الأمر الواجبة طاعتهم بقوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ [١] ، والمراد الحكم والقضاء ، ولهذا كان حكما فى قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره [٢] .

والمراد بالخفى هو النص غير الصريح فى مدلوله فى تعيين الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- للخلافة ، ومثال ذلك بعث النبى ﷺ علياً -كرم الله وجهه- لقراءة سورة براءة فى الموسم حين أنزلت، فإنه بعث بها أولاً أبا بكر ثم أوحى إليه ليبلغه رجل منك أو من قومك فبعث علياً -كرم الله وجهه- ليكون القارئ المبلغ، قالوا (الشيعة): وهذا يدل على تقديم على -كرم الله وجهه-، وأيضاً فلم يعرف أنه ﷺ قدم أحداً على على -كرم الله وجهه-[٣].

أسباب إيثار الشيعة على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- دو ن غيره من آل البيت أو سائر الصحابة لعدة أسباب منها :

١ - القرابة .

٢ - شخصية الإمام على -كرم الله وجهه- وصفاته .

٣ - استشهاد الإمام على -كرم الله وجهه- وبنيه [٤] .

من ناحية القرابة فالإمام على -كرم الله وجهه- ابن عم الرسول ﷺ الذى تكفل بتربيته وزوجه ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومنها امتد نسل النبى ﷺ إذ لم يترك ولداً .

---

(١) القرآن الكريم ، النساء ، الآية ٥٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا .....﴾ .

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ بتصرف .

(٤) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ و ١٤٤ ، الاقتباس باختصار .

وعامل القرابة يرتبط بدور الوراثة فى الإمامة عند الشيعة ، فلقد قالوا بانتقال التراث الروحى للكثير من الأنبياء فى ذرياتهم واستدلوا بقوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾ (١) .

ومن ناحية الشخصية والصفات ، فإن الإمام على -كرم الله وجهه- قد شارك فى الغزوات كلها إلا غزوة تبوك التى أكرمه النبى ﷺ حين أنابه عنه فى المدينة ، وحينما أراد الخروج للغزو خاطبه النبى ﷺ : «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » وهو فى الغزوات أبرز الصحابة وأشجعهم فى القتال وبخاصة فى غزوة خيبر إذ حاصر المسلمون الحصن تسعة عشر يوماً ولكنهم عجزوا عن اقتحامه ، إلى أن قال الرسول ﷺ : « لأعطين الراية غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله كرار غير فرار » حتى بات كل صحابى يتمنى أن يكون المقصود ، ثم سلم النبى ﷺ الراية لعلى -كرم الله وجهه- فاقتحم الحصن بعد أن اقتلع بابه (٢) .

ومن الناحية العلمية ، فلا يدانيه فى ذلك أحد من الصحابة إلى حد أن جميع العلوم الدينية تنسب مبتدأة به ، يقول شارح نهج البلاغة : ما أقول فى رجل إليه تعزى كل فضيلة وتنتهى إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رأس الفضائل وينبوعها . كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ به اقتفى وعلى مثاله احتذى (٣) .

ومن العلوم التى وضع الإمام على -كرم الله وجهه- مبادئها علم الكلام والفقه والتفسير والطريقة والحقيقة وعلم النحو والبلاغة(٤).

ومن ثم يتناقل الشيعة الحديث الشريف: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»(٥) .

(١) نفس المرجع ، ص ١٤٣ ، والدكتور أحمد محمود صبحى ، الزيدية ، ص ٣٩ ، الآية المذكورة فى سورة الحديد الآية ٢٦ .

(٢) الدكتور محمود صبحى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) نفس المكان وص ٤٠ . (٤) نفس المكان والاقتباس باختصار .

(٥) نفس المكان ، ولم يذكر المؤلف سند الحديث المذكور وكذلك غيره فى الاقتباس ١٦ ، وسنذكر أسانيد هذه الأحاديث فى الملحق ، إن شاء الله تعالى .

واستشهاد الإمام على كرم الله وجهه وبنيه مسجل فى التاريخ الإسلامى ، ولقد كان لنهايتهم الحزينة أثر فى زيادة تعاطف الشيعة وتعلقهم فى حب على وآل بيته ، خاصة استشهاد ابنه الحسين رضى الله عنه ، إذ إن الكوفيين الذين جروا الحسين إلى الكارثة ثم تركوه وحده يصلاها ، شعروا بتأنيب الضمير على ما اقترفت أيديهم ، فشعروا بالحاجة إلى إرضاء الرب بالكفارة عن إثمهم بالتضحية بأنفسهم ، فسموا أنفسهم « التوابين» وبدأوا أول مرة ينظمون أنفسهم ، وبعد مقتل الحسين رضى الله عنه تكونت منظمات شيعية قوية وانطلقت تحاول الانتقام للحسين رضى الله عنه وفى نفس الوقت تكفر عن تقاعسها عنه . والمهم أن ذلك المصير المؤلم الذى لاقاه على بن أبى طالب على يد ابن ملجم والذى لاقاه الحسين نتيجة لتخلى أهل الكوفة عنه ، هو الذى أثار حماس الشيعة، وازداد حبهم ومناصرتهم لعلى وبنيه إذ إنهم استشهدوا فى سبيل الحق ونصرته، وكان استشهادهم نتيجة غدر الباطل .

لكل هذه العوامل وغيرها من العوامل ، تمسك الشيعة بعلى وفضلوه على سائر أهل بيت النبوة وسائر الصحابة [١] .

فرق الشيعة :

ذكر الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى أن الشيعة ثلاثة أصناف

الصنف الأول : الغالية .

الصنف الثانى : الإمامية .

الصنف الثالث : الزيدية .

وكل واحدة من هذه الفرق تنقسم إلى فرق ، فالغالية لهم خمس عشرة فرقة، والإمامية (الرافضة) لهم أربعة وعشرون فرقة، والزيدية لهم ست فرق، فكلهم خمس وأربعون فرقة .

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

غالية الشيعة :

ذكر الإمام الأشعرى أنهم سموا الغالية لأنهم غلوا فى على كرم الله وجهه وقالوا فيه قولاً عظيماً [١] .

وذكر الشهرستانى أنهم غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية . فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير . وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة [٢] .

ولقد حرق على -رضى الله عنه- بالنار من ذهب إلى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية على المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضى الله عنه بمن بلغه مثل هذا عنه[٣] .

أسماء الفرق الغالية :

١ - البيانية: أصحاب بيان بن سمعان التميمى ، يقولون إن الله عز وجل على صورة الإنسان وأنه يهلك كله إلا وجهه ، وادعى بيان أنه يدعو الزهرة فتجيبه وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم ، فقتله خالد بن عبد الله القسرى ، وحكى عن كثيرٍ منهم من يثبت لبيان بن سمعان النبوة .

ويزعم كثير من البيانية أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نص على إمامة بيان بن سمعان ونصبه إماماً .

---

(١) الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى، والملل والنحل، ج١، ص١٧٣

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

٢ - الجناحية : أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين .

يزعمون أن عبد الله بن معاوية كان يدعى أن العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة والعشب وأن الأرواح تناسخت وأن روح الله -جل اسمه- كانت فى آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه.

قال : وزعم أنه رب وأنه نبى فعبده شيعته، وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أن الدنيا لا تفنى ، ويستحلون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم . . . [١] .

٣ - الحربية: أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب ، يزعمون أن روح أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية تحولت فيه وأن أبا هاشم نص على إمامته [٢] .

٤ - المغيرية : أصحاب المغيرة بن سعيد ، يزعمون أنه كان يقول إنه نبى وإنه يعلم اسم الله الأكبر وأن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج ، وله من الأعضاء والخلق ما للرجل وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة . . . . [٣] .

٥ - المنصورية : أصحاب أبى منصور ، يزعمون أن الإمام بعد أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على أبو منصور، وأن أبا منصور قال : آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض وأنه هو الكسف الساقط من بنى هاشم، وأبو منصور هذا رجل من بنى عجل ، وزعم أبو منصور أنه عرج به إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده ثم قال له : « أى بنى اذهب فبلغ عنى ثم نزل به إلى الأرض . . . . . [٤] .

---

(١) الإمام الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٩ ، ٧٢ .

(٤) الإمام الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٧٤ و ٧٥ .

٦ - الخطابية : أصحاب أبى الخطاب بن أبى زينب وهم خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججهم على خلقه لا يزال منهم رسولان : واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد ﷺ، والصامت على بن أبى طالب، فهم فى الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق يعلمون ما كان وما هو كائن . . . [١] .

٧ - المعمرية: هى الفرقة الثانية من الخطابية وهى الفرقة السابعة من الغالية، يزعمون أن الإمام بعد أبى الخطاب رجل يقال له «معمر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية ، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك ، وقالوا بالتناسخ وأنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم واستحلوا الخمر والزنا ، واستحلوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وهم يسمون «المعمرية» ويقال إنهم يسمون «اليعمرية» .

٨ - البزيغية : الفرقة الثالثة من الخطابية وهى الثامنة من الغالية، يقال لهم «البزيغية» أصحاب «بزيغ بن موسى» .

يزعمون أن جعفر بن محمد هو الله وأنه ليس بالذى يرون وأنه تشبه للناس بهذه الصورة ، وزعموا أن كل ما يحدث فى قلوبهم وَحْىٌ وأن كل مؤمن يوحى إليه وتأولوا فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾ [٢] أى بوحى من الله ، وقوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون**﴾ [٣] . وقوله تعالى : ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين** ﴾ [٤] ، وزعموا أن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد ، . . . . [٥] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٧٦ . (٢) القرآن الكريم ، آل عمران ، الآية ١٤٥ .

(٣) القرآن الكريم ، النحل ، الآية ٦٨ . (٤) القرآن الكريم ، المائدة ، الآية ١١١ .

(٥) الإمام الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

٩ - العميرية : الرابعة من الخطابية والتاسعة من الغالية ، يقال لهم «العميرية» أصحاب عمير بن بيان العجلى .

وهذه الفرقة تُكَذِّب من قال منهم إنهم لا يموتون ويزعمون أنهم يموتون ولا يزال خلف منهم فى الأرض أئمة أنبياء . . . .[١] .

١٠ - المفضلية : الخامسة من الخطابية والعاشرة من الغالية ، يقال لهم المفضلية لأن رئيسهم كان صيرفيا يقال له «المفضل» .

يقولون بربوبية جعفر كما قال غيرهم من أصناف الخطابية . . .[٢] .

١١ - القائلون بأن روح القدس هو الله عز وجل ، كانت فى النبى ﷺ ثم فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين إلخ . . . .[٣] .

١٢ - القائلون بأن علياً هو الله . . . .[٤] .

١٣ - الشريعية : هم أصحاب الشريعى ، يزعمون أن الله حل فى خمسة أشخاص : فى النبى وفى على وفى الحسن وفى الحسين وفى فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم .

١٤-النميرية هم أصحاب النميرى،يقولون إن البارئ كان حال فى النميرى

١٥ - السبئية : هم أصحاب عبد الله بن سبأ .

يزعمون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، . . .[٥] .

١٦ - القائلون بأن الله عز وجل وكل الأمور وفوضها إلى محمد ﷺ وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئاً، . . . [٦] .

---

(١) نفس المكان .
(٢) نفس المكان .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٢ ، ٨٣ .
(٤) نفس المكان .
(٥) نفس المكان و ٨٤ و ٨٦.
(٦) نفس المصدر ، ص ٨٨ .

الشيعة الإمامية أو الرافضة :

وهم يدعون «الإمامية» لقولهم بالنص على إمامة على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- [١] ، وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما [٢] .

وهم مجمعون على أن النبى ﷺ نص على استخلاف على ابن أبى طالب -كرم الله وجهه- باسمه وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبى ﷺ ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام فى حال التقية أن يقول : إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد فى الأحكام ، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس وزعموا أن علياً رضوان الله عليه كان مصيباً فى جميع أحواله وأنه لم يخطئ فى شئ من أمور الدين ، إلا «الكاملية» أصحاب أبى كامل فإنهم كفروا الناس بترك الاقتداء به ، وكفروا علياً كرم الله وجهه بترك الطلب ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا : ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته [٣] .

وهم سوى «الكاملية» أربع وعشرون فرقة : القطعية والكيسانية والكربية والراوندية والرزامية والحربية والبيانية والمغيرية والحسينية والمحمدية والناوسية والقرماطة والمباركية والسميطية والمسائية (المفضلية) [٤] .

ولا نتعرض لتقديم البيان المفضل لهذه الفرق ونكتفى بالقول بأنهم جميعاً متفقون على إمامة الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- بنص من النبى محمد ﷺ .

الزيدية :

وإنما سموا زيدية لتمسكهم بقول « زيد بن على بن الحسين بن عل بن أبى طالب» [٥] -كرم الله وجهه- .

---

(١) الإمام الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٨٩ . (٢) نفس المكان .
(٣) نفس المكان . (٤) نفس المصدر ، ص ٩٠ إلى ١٠٤ ، الاقتباس بالاختصار .
(٥) نفس المصدر ، ص ١٣٦ .

فالزيدية : أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم شجاع سخى خرج بالإمامة، أن يكون إماماً واجب الطاعة ، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضى الله عنهما [١] .

يمثل التشيُّع الزيدى وسطاً بين أهل السنة وبين التشيع الإمامى، وكأى اتجاه وسط لا بد أن يكون أكثر ميلاً إلى أحد الطرفين ، فإن فرقاً زيدية نشأت متفاوتة فيما بينها فى ميلها لهذا الطرف أو ذاك ، على أنه لا بد أن يجمعها ما يجعلها منتسبة إلى الزيدية كالقول بأفضلية على وإمامته ثم إمامة الحسن والحسين وكالقول بالخروج [٢] .

ومن الفرق الزيدية التى إلى أهل السنة أميل : الصالحية أو البترية : أصحاب الحسن بن صالح بن حى الهمذانى (١٠٠ - ١٦٨ هـ) المكنى بأبى عبد الله وكثير النواء الملقب بالأبتر ، وقد كان الحسن بن صالح ناسكاً عابداً فقيهاً محدثاً زاهداً ، ومن ثم امتدحه علماء أهل السنة ، بل وعَدَّتْهُ الصوفية أحد رجالهم . . . [٣] .

أهم آراء الفرقة الصالحية :

١ - إمامة المفضول مع وجود الأفضل : كان الإمام على -كرم الله وجهه- أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة ، ولكنه سلم الأمر راضياً وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضى، مسلمون بما سلم ، ولو لم يرض ذلك لكان أبو بكر رضى الله عنه هالكاً ، . . . . [٤] .

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ و ١٥٥ .

(٢) الدكتور أحمد محمود صبحى ، الزيدية ، ص ٩٨ . (٣) نفس المكان .

(٤) نفس المرجع ، ص ٩٩ . الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- ولد عام ٨٠ هـ واستشهد عام١٢٢ فى الدفاع عن الحق واستشهد آباؤه قبله .

٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : كل من خرج من ولد فاطمة (الزهراء) - حسنياً كان أم حسينياً - شاهراً سيفه وكان عالماً زاهداً سخياً شجاعاً فقد وجبت نصرته ، وإن خرج إمامان وجدت فيهما الشروط ينظر إلى الأفضل والأزهد ، فإن تساويا ينظر إلى الأمتن رأياً والأحزم أمراً ، أما لو كانا فى قطرين مختلفين فكل منهما واجب الطاعة فى قومه .

٣ - إنكار التقية : لا يكون إماماً من يفتى بالباطل فى أمر مبرراً ذلك بالتقية ، لأن الإمام يجب أن يفتى بما أمر به الله لا يخشى فى الحق لومة لائم، ولا يصح أن يكون إماماً من يفتى برأى عن تقية ويكون له رأى آخر فيضل الناس بفتاويه لايعلمون أيهما صدر عن تقية وأيهما صدر عن حق، إنه لا يكون إماماً من يرخى ستره ويغلق بابه إذ لا يسع الإمام إلا الخروج [١].

وهناك فرق أخرى زيدية منها السليمانية وتسمى الجريرية أصحاب سليمان ابن جرير الرقى وكان تابعاً لجعفر الصادق ثم انفصل عنه ولحق بالصالحية فوافقها فى أشياء واختلف عنها فى أشياء [٢] والجارودية التى تدين ببعض آراء الاثنى عشرية [٣] .

والزيدية فى العصر الحاضر معظمهم فى أرض اليمن الشمالى ولهم نشاط كبير فى الدعوة الإسلامية فى خارج اليمن فى أوربا وأمريكا وغيرهما .

الخوارج :

اقترن ظهور هذه الفرقة بظهور الشيعة ، فقد ذكر كلاهما كفرقة فى عهد على -رضى الله عنه- ، وقد كانوا من أنصاره ، وإن كانت الشيعة فكرتها أسبق من فكرة الخوارج [٤] .

---

(١) الدكتور أحمد محمود صبحى ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) نفس المكان .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٣ .

(٤) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المذاهب الإسلامية ، ص ٩٧ .

وذكر الشهرستانى أن كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعد التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان [١] .

وهذا المعنى نعتبره مفهوماً عاماً ، وهناك مفهوم خاص هو أن الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام على كرم الله وجهه وهم الأصل فى التسمية بالخوارج وأما إطلاق الاسم على غيرهم فعلى سبيل القياس .

وذكر الشهرستانى أن أول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين: الأشعث بن قيس الكندى ومسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعونا إلى السيف حتى قال : أنا أعلم بما فى كتاب الله ، انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، وأنتم تقولون : صدق الله ورسوله ، قالوا : لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان ، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقى منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الأشتر أمره [٢] .

لقد كان الخوارج من أنصار الإمام على كرم الله وجهه ، وهم الذين حملوه على التحكيم أولاً ، وكان يريد أن يبعث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، فما رضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك وحملوه على بعث أبى موسى الأشعرى على أن يحكم بكتاب الله تعالى ، فجرى الأمر على خلاف ما رضى به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم تحكم الرجال ، لا حكَمَ إلا الله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان[٣] .

---

(١) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص١١٤ .

(٢) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٥ .

فالنص يشير إلى أن الخوارج هم الذين دفعوا الإمام علياً -كرم الله وجهه- لقبول التحكيم ، ثم ثاروا عليه بعد ذلك لظهور نتيجة التحكيم مخالفة لرأيهم [١] .

وكبار الفرقة منهم : المحكمة والأزارقة والنجدات ، والبيهسية والعجاردة والثعالبة والأباضية والصفروية والباقون فروعهم [٢] .

وأما المحكمة الأولى هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على -رضى الله عنه- حين جرى أمر المحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورأسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن أبى عاصم المحاربى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدى وكانوا يومئذ فى اثنى عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام ، أعنى يوم النهروان .

وفيهم قال النبى ﷺ : « تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم وصوم أحدكم فى جنب صيامهم » ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم .

فهم المارقة الذين قال فيهم : « سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » [٣].

ويبدو من أحاديث النبى ﷺ التى ذكرها محقق الملل والنحل الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل أن للخوارج جذور أيام الرسول ﷺ ، ويروى أن رجلاً أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن إلا لمن شهد الحديبية ، فأقبل ذلك الأسود على رسول الله ﷺ فقال: ما عدلت منذ اليوم ، فغضب رسول الله ﷺ حتى رؤى الغضب فى

---

(١) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) نفس المكان. ذكر المعجم الوسيط (ج ١ ص ٢٣٣) أن الخوارج فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على الإمام على وخالفوا رأيه ، ويطلق على من خرج على الخلفاء ونحوهم .

(٣) الشهرستانى ، المصدر السابق ص ١١٥ ، ولم يذكر السند . . . .

وجهه ، فقال عمر بن الخطاب : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال رسول الله : «إنه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ» .

وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال له : «ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل» ، ثم قال لأبى بكر : «اقتله» ، فمضى ورجع فقال: يا رسول الله رأيته راكعاً ، ثم قال لعمر: «اقتله» ، فمضى ثم رجع فقال: يا رسول الله رأيته ساجداً ، ثم قال لعلى : «اقتله»، فمضى ثم رجع فقال : لم أره ، فقال رسول الله ﷺ : «لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله » .

ومن رواية أخرى فقام إليه رجل مضطرب الخلق فاتر العين ، ناتئ الجبهة، فقال له: لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى تورد خداه ، ثم قال : « أيأمنى الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟» فقام إليه عمر فقال : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : «إنه سيكون من ضئضئ هذا . . . . الحديث» [1] .

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية وإنما خروجهم فى الزمن الأول على أمرين :

أحدهما : بدعتهم فى الإمامة ، إذ جوزوا أن تكون الإمامة فى غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً ، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله ، وهم أشد الناس قولاً بالقياس وجوزوا أن لايكون فى العالم إمام أصلاً ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطياً أو قرشياً .

والبدعة الثانية : أنهم قالوا : أخطأ على -كرم الله وجهه- فى التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا الله ، وقد كذبوا على على رضى الله عنه من

---

(١) نفس المصدر ، ص١١٦ فى الهامش ، قال المحقق: فى الكامل للمبرد ، ٣/٩١٩ ط الحلبى .

وجهين :

أحدهما : فى التحكيم ، أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ، لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم .

والثانى : أن تحكيم الرجال جائز ، فإن القوم هم الحاكمون فى هذه المسألة وهم الرجال ، ولهذا قال على رضى الله عنه «كلمة حق أريد بها باطل» وتخطوا عن هذه التخطئة إلى التكفير ولعنوا علياً -رضى الله عنه- فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقاتل الناكثين واغتنم أموالهم [١] .

ونكتفى ببيان هذه الفرقة من الخوارج والباقية منها مبينة فى الملل والنحل للشهرستانى ومقالات الإسلاميين للأشعرى وغيرهما .

المرجئة :

وقبل أن نتحدث عن نشأة هذه الفرقة ، نقدم أولاً معنى كلمة المرجئة وذكر الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد أن كلمة «المرجئة» اسم فاعل من الإرجاء وأن الإرجاء يأتى فى العربية على معنيين :

الأول : التأخير ، تقول : أرجأت كذا تريد أخرته ، وفى القرآن الكريم فى قصة موسى عليه السلام ﴿ **قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين**﴾ [٢] ، أرادوا أخره وأمهله .

والمعنى الثانى للإرجاء : إعطاء الرجاء، تقول: «أرجيت فلاناً» تريد أنك أعطيته الرجاء ، والهمزة فى آخر « الإرجاء » على المعنى الأول أصلية وعلى المعنى الثانى منقلبة عن حرف العلة[٣] .

ويجوز أن نكون تسمية هذه الفرقة بالمرجئة مأخوذة من المعنى الأول لأنهم

---

(١) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٢) القرآن الكريم ، الأعراف ، الآية ١١١ .

(٣) الأشعرى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٣ ، تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ، فى الهامش .

كانوا يؤخرون العمل عن النية وعقد القلب ، ويجوز أن تكون مأخوذة من المعنى الثانى لأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فقد كانوا يعطون المؤمن العاصى الرجاء فى ثواب الله [١] .

وذهب الناس إلى أن الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه فى الدنيا بحكم ما ، وعلى هذا التفسير تكون المرجئة فرقة مقابلة للوعيدية .

وذهب بعضهم إلى أن الإرجاء تأخير على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة ، وعلى هذا تكون المرجئة فرقة مقابلة للشيعة [٢] .

هذه الفرقة نشأت فى وسط شاع فيه الكلام فى مرتكب الكبيرة : أهو مؤمن أم غير مؤمن ؟

فالخوارج قالوا : كافر ، والمعتزلة قالوا : غير مؤمن ، وقد يسمى مسلماً ، والحسن البصرى وطائفة من التابعين قالوا : إنه منافق لأن الأعمال دليل على القلوب وليس اللسان دليلاً على الإيمان ، وقال الجمهور من المسلمين : هو مؤمن عاص أمره بيد الله إن شاء عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه . وفى وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه «لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفرطاعة» . ومن المتنمين من قال :

إن أمر المرتكب يرجأ إلى الله تعالى يوم القيامة وهؤلاء يتلاقون إلى حد كبير مع طائفة كبيرة من جمهور العلماء السنيين، بل إنه عند التمحيص يتبين أن آراءهم هى آراء الجمهور [٣] .

---

(١) الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ (تعليق المحقق) ، الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص١٣٩ .

(٢) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٣) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

والبذرة الأولى التى نبتت منها هذه الفرقة كانت فى عصر الصحابة فى آخر عصر عثمان رضى الله عنه فإن القلة فى حكم عثمان رضى الله عنه وعماله قد شاعت وذاعت وملأت البقاع الإسلامية وظهرت الفتن التى انتهت بقتله ، وفى أثناء ذلك اعتصمت طائفة من الصحابة بالصمت وتجملت بالامتناع عن الاشتراك فى تلك الفترة التى مرج المسلمون فيها مرجاً شديداً وتمسكوا بحديث أبى بكرة عن النبى ﷺ ، إذ قال عليه السلام :

« ستكون فتن : القاعد فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى ، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه » ، فقال رجل : يا رسول الله من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة » .

امتنعت تلك الطائفة عن الخوض فى الفتن التى حدثت فى عهد عثمان رضى الله عنه وانتهت بقتله ، ثم لما امتدت أعقابها إلى عهد على كرم الله وجهه ، استمروا على امتناعهم ولم يعنوا بإبداء رأيهم فى الحروب التى وقعت بين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ومعاوية ، ومن هؤلاء : سعد بن أبى وقاص وأبى بكرة راوى الحديث ، وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين، وبهذا أرجأوا الحكم فى أى الطائفتين أحق وفوضوا أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى [1] .

وتفرعت هذه الفرقة باختلافهم فى موضوعات منها :

١ - الإختلاف فى الإيمان، تكون فيه اثنتى عشرة فرقة منها الجهمية ، والشمرية والثوبانية والنجارية والغيلانية .

٢ - الاختلاف فى تحديد الكفر ، فيه سبع فرق .

٣ - الاختلاف فى المعاصى ، فيه فرقتان .

---

(١) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٤ - الاختلاف فى المقلد فى الإيمان ، فيه فرقتان .

٥ - الاختلاف فى الأخبار إذا وردت عن الله تعالى، وظاهرها ظاهر العموم فيه سبع فرق .

٦ - الاختلاف فى تخليد الكفار ، فيه فرقتان .

٧ - الاختلاف فى فجار أهل القبلة ، فيه خمس فرق .

٨ - الاختلاف فى الأمر والنهى ، فيه فرقتان .

٩ - الاختلاف فى الصغائر والكبائر ، فيه فرقتان .

وغير ذلك من الاختلافات فى موضوعات كثيرة فى العقائد[١] .

القدرية :

خاض المسلمون فى القضاء والقدر فى آخر عصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين وقد غالى فريقان فى هذا الموضوع ، أحدهما غالى فيه فنفى أن يكون للإنسان إرادة فيما يفعل وهؤلاء هم الجبرية ، والثانى غالى وأثبت أن كل فعل الإنسان صادر عنه بإرادته المستقلة عن إرادة الله سبحانه وتعالى وهم القدرية .

وذكر الإمام محمد أحمد أبو زهرة أن بعض الناس ذهبوا إلى أن القدرية نفت القدر عن الله تعالى وأثبتوه للعبد ، فسميت لذلك القدرية ، إذ جعلت كل شىء لإرادة الإنسان وقدرته، فكأنها أعطت للإنسان سلطاناً على القدر .

ويميل بعض الكتاب إلى أن هذا الوصف ذكرهم (القدرية) به مخالفوهم لينطبق عليهم الأثر : «القدرية مجوس هذه الأمة»[٢].

وكان أول ظهور هذه الفرقة فى الإسلام فى البصرة ، وقيل إن أول من تكلم فى القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر وأخذ عنه

(١) الأشعرى ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ - ٢٣١ ، الاقتباس باختصار .

(٢) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ بتصرف .

معبد الجهنى وغيلان الدمشقى، ومن هنا نرى أن الفكرة دخيلة فى الإسلام راجت بين المسلمين من عنصر أجنبى دعا إليها باسم الإسلام وهو يضمر غيره.

وقد تصدى لهذه الدعوة (القدرية) الرجلان اللذان أخذا عنه وهما معبد الجهنى وقد تولى الدعوة فى العراق، وثانيهما غيلان الدمشقى وقد أخذ يدعو إلى المذهب بدمشق . . .[١].

الجبرية :

هذه الفرقة تخالف القدرية لأنها زعمت أن الإنسان لا يخلق أفعاله ، وليس له مما ينسب إليه من الأفعال شىء ، فقوام هذا المذهب «نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، إذ العبد لا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور فى أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الأفعال فيه على حَسْبِ ما يخلق فى سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات ، وكما يقال: أثمرت الشجرة أو جرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء وأمطرت وازدهرت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً [٢] .

وحجتهم فى ذلك ، قالوا : لما كان الله تعالى فعالاً لا يشبه شيئاً من خلقه ، وجب أن لا يكون أحد فعالاً غيره ، وقالوا : أيضاً: معنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنما هو كما تقول: مات زيد، وإنما أماته الله ، وقام البناء، وإنما أقامه الله تعالى [٣] .

ويبدو من أقوال الباحثين أن هذه الفرقة لها جذور امتدت إلى عصر

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٨٧ ، بتصرف فى العبارة .

(٢) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٣) نفس المكان ، ١٧٢ .

الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى أول العصر الأموى وكثر حتى صار مذهباً فى آخره .

وأصل هذه الجذور فى الحقيقة جاءت من اليهود والفرس ، وقد جاء فى كتاب «المنية والأمل» عن الحسن أن رجلاً من فارس جاء إلى النبى ﷺ فقال له : رأيت أهل فارس ينكحون بناتهم وأخواتهم ، فإن قيل لهم لم تفعلون ؟ قالوا : قضاء الله وقدره ، فقال عليه السلام : « سيكون فى أمتى من يقولون مثل ذلك وأولئك مجوس أمتى » .

تبنى ذلك المذهب الجهم بن صفوان، واستمر آخذاً به يدعو إليه والجهم ابن صفوان خراسانى من موالى بنى راسب كان كاتباً لشريح بن الحارث ، وخرج معه على نصر بن يسار وقتله مسلم ابن أحوز المازنى فى آخر عهد بنى مروان [١] .

المعتزلة :

المعتزلة هم أصحاب النظر العقلى وقدموا العقل على النص فأولوا المتشابهات من الآيات القرآنية، ورفضوا الأحاديث التى لا يقرها العقل ، وتحرزوا فى خبر الآحاد ، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل، ولو لم يرد شرع بذلك ، وإذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص ، ولا يتقدم الفرع على الأصل ، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل ، فالعقل بذلك موجب، وآمرٌ، وناهٍ [٢] .

ونشأت هذه الفرقة فى العصر الأموى ولكنها شغلت الفكر الإسلامى فى العصر العباسى ردحاً طويلاً من الزمن [٣] .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٧٥ .

(٢) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣ بتصرف .

(٣) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

ظهور هذه الفرقة :

اختلفت آراء العلماء فى وقت ظهور المعتزلة :

١ - أنها ابتدأت فى قوم من أصحاب علـى رضى الله عنه اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى عند ما نزل «الحسن» عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان . . . .

٢ - والأكثرون على أن رأس المعتـزلة هو واصل بن عطاء ، وقد كان ممن يحضرون مـجلس الحسن البصرى العلمى ، فثـارت تلك المسألة التى شغلت الأذهان فى ذلك العصـر، وهى مسألة مرتكب الكبـيرة فقال واصل مـخالفاً الحسن: أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق ، بـل هو فى منزلة بين المنزلتين، ثـم اعـتزل مـجـلس الحـسن ، واتخـذ له مـجلسـاً آخـر فى المسجد[١].

ألقاب المعتزلة :

١ - المعتزلة : يطلق عليهم خصومهم اسم المعتزلة لأنهم فارقوا أهل السنة والجماعة وانشقوا عليهم ، ويريدون بهذا الاسم «الذم» [٢] .

٢ - القدرية : ولقـد أطلق عليهم خصومـهم اسم القدرية ، وذلك لأنهم قالوا بقدرة الناس على أفعالهم، وأنه ليس لله فيها تقدير .

٣ - وأطلق عليهم اسم الثنوية والمجوس .

٤ - وسموا أنفـسهم « العدلية » لقولهم بعدل الله وحكمـته وأصل العدل هو أحد أصولهم الخـمسة ، وكذلك سموا أنفسـهم « الموحدة » لقولهم: لا قديم مع الله ، والتوحيد كذلك من أصولهم الخمسة [٣] .

---

(١) نفس المكان .

(٢) الدكتور على عبد الفتاح المغربى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ بتصرف .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٠٧ . بتصرف .

الأصول الخمسة :

قال أبو الحسن الخياط فى كتابه « الانتصار »: وليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا جمعت هذه الأصول فهو معتزلى [١] .

الفرق المعتزلة :

ومن الفرق التى كانت تنتمى إلى المعتزلة :

الواصلية ، والهذيلية ، والنظامية والخابطية والحدثية والبشرية ، والمعمرية والمردارية والثمامية والهشامية والجاحظية والخياطية والكعبية والجبائية والبهشمية [٢] .

الأشعرية :

وتنسب هذه الفرقة كما هو واضح من الاسم إلى أبى الحسن الأشعرى على بن إسماعيل الأشعرى المولود (٢٦٠هـ - ٣٣٠هـ) ، وكان أبوه من أصحاب الحديث ، لكنه قدر له أن يتربى فى بيت شيخ المعتزلة وهو أبو على الجبائى . فقد ذكر ابن عساكر فى كتابه «تبيين كذب المفترى » أن الأشعرى كان تلميذاً للجبائى - الذى كان زوج أمه - يدرس عليه فيتعلم منه ويأخذ عنه لا يفارقه أربعين سنة [٣] .

إذن إن أبا الحسن كان معتزلياً وتثقف بثقافتهم وأقام على الاعتزال مدة طويلة حتى كان إماماً من أئمتهم ، وما الذى حدث حتى ترك الاعتزال ومال بكليته إلى الفقهاء والمحدثين ؟

---

(١) الإمام محمد أحمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٦ - ٧٨ ، ذكرنا أسماء فرق المعتزلة بدون بيان لها .

(٣) الدكتور فيصل بدير عون ، علم الكلام ومدارسه ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

فقد وردت فى هذا التحول روايات أحقها فى الاعتبار منها :

١ - أن أبا الحسن الأشعرى لم يقتنع فيما ذهب إليه المعتزلة فحدثت مناظرة بينه وبين شيخه الجبائى فى التحسين والتقبيح ، . . وانتهت هذه المناظرة بعجز الجبائى على الرد (بُهت وسكت).

٢ - قد وقع فى صدره فى بعض الليالى شىء مما كان فيه من العقائد فقام وصلى ركعتين وسأل الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم ونام فرأى الرسول ﷺ فى المنام فشكى إليه بعض ما به من الأمر ، فقال الرسول ﷺ : «عليك بسنتى » ، فانتبه وعارض مسائل علم الكلام بما وجد فى القرآن والحديث فأثبته ونبذ ما سواه وراءه ظهرياً .

٣ - أنه أراد التوفيق بين المذاهب المختلفة بقدر المستطاع والدفاع عن الإسلام على طريقة تجمع المعقول والمنقول [١] .

ولقد بث أبو الحسن الأشعرى أتباعه فى كل الجهات متعقباً المعتزلة ولقب بإمام أهل السنة والجماعة ولما قرأ أهل الفقه والحديث كتبه اتخذوه إماماً واشتهر أتباعه باسم «الأشاعرة» .

والأشعرى أخذ بكل ما جاء به القرآن الكريم والسنة من عقائد ويحتج بكل وسائل الإقناع والإفحام ، وأخذ بظواهر النصوص فى الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع فى التشبيه . فهو يعتقد أن لله وجهاً لا كوجه العبيد، ويداً لاكيد العبيد ، وأنه رأى أن أحاديث الآحاد يحتج بها فى العقائد ، وكان مسلكه وسطاً بين الفرق المختلفة ، فأصدر أحكاماً فى قضايا العقائد فى جو من الاعتدال والصفاء بعيداً عن التهور والاندفاع ، ونصره كبار العلماء كأبى بكر الباقلانى وإمام الحرمين والإسفريينى وغيرهم[٢]، منهم الإمام الغزالى رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) الأستاذ محمد حمزة ، التآلف بين الفرق الإسلامية ،ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٧ .

طريقة الأشعرى فى البحث :

كان الأشعرى يسلك فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو يثبت ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنظمة يستدل بها على صفات الله سبحانه، وقد استعان على ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة والمناطقة[1].

وآراء الأشعرى فى العقيدة هى المعروفة بآراء أهل السنة والجماعة، ولقب أهل السنة والجماعة كانت خاصة لجماعة الأشاعرة والماتريدية واتسع فيها بعد ذلك فشمل ثمانية أصناف وهى :

١ - من أحاطوا العلم بأبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب وشروط الاجتهاد والإمامة والزعامة . وسلكوا فى هذا النوع من العلم طرق المتكلمين الذين تبرأوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة .

٢ - أئمة الفقهاء من فريقى الرأى والحديث من الذين اعتقدوا فى أصول الدين مذهب الصفاتية فى الله وفى صفاته الأزلية وتبرأوا من القدر والاعتزال، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل ، وأثبتوا الحشر من القبور مع إثبات السؤال فى القبر ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التى دون الشرك .

وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ودوام عذاب النار على الكفرة ، وقالوا بإمامة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة ، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة ، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المسح على الخفين ووقوع الطلاق الثالث ورأوا تحريم المتعة ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس معصية .

ويدخل فى هذه الجماعة أصحاب مالك والشافعى والأوزاعى والثورى وأبى حنيفة وابن أبى ليلى وأصحاب أبى ثور وأصحاب أحمد بن حنبل وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا فى الأبواب العقلية أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقهه بشىء من بدع أهل الأهواء الضالة .

٣ - هم الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبى ﷺ وميزوا بين الصحيح والسقيم منها ، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بذلك بشىء من بدع أهل الأهواء الضالة .

٤ - قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف وجروا على سمت أئمة اللغة كالخليل وأبى عمرو بن العلاء وسيبويه والفراء والأخفش والأصمعى والمازنى وأبى عبيد وسائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشئ من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج ومن مال منهم إلى شىء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة فى اللغة والنحو .

٥ - هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

٦ - الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر ، فأعدوا خير الإعداد ليوم الميعاد ، وجرى كلامهم فى طريقى العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشترى لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء ، ولا يتركونه حياء ، دينهم التوحيد ونفى التشبيه ، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى

والتوكل عـليه والتسليم لأمـره والقناعة بما رزقـوا والإعراض عن الاعـتراض عليه : ﴿ ذلك فـضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفـضل العظيم ﴾ (١) .

٧ - قوم مـرابطون فى ثغـور المسلمين فى وجوه الكفـرة يجاهـدون أعداء المسلمين ويحمون حمـى المسلمين ويذبون عن حريمهم وديارهم ويظهرون فى ثغورهم مـذاهب أهل السنة والجماعـة ، وهم الذين أنزل الله تعالى فـيهم : ﴿والذين جاهدوا فـينا لنهدينهم سـبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (٢) زادهم الله توفيقاً بفضله ومنه .

٨ - عامة البلدان التى غلب فـيها شعار أهل السنة دون عامـة البقاع التى ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة (٣) .

الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة :

قد اتفق جمـهور أهل السنة والجماعة عـلى أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حـقيقته ، ولكل ركن منها شعب وفى شعبها مسائل اتفق أهل السنة فـيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها :

الركن الأول من أصـول الدين : إثبات الحقـائق والعلوم على الخـصوص والعموم .

الثانى : العلم بحدوث العالم فى أقسامه من أعراضه وأجسامه.

الثالث : معرفة صانع العالم وصفات ذاته .

الرابع : معرفة صفاته الأزلية .

الخامس : معرفة أسمائه وأوصافه .

---

(١) القرآن الكريم ، الحديد ، الآية ٢١ ، الجمعة الآية ٤ .

(٢) القرآن الكريم ، العنكبوت ، الآية ٦٩ .

(٣) البغدادى ، الفَرق بين الفِرق ، ص ٢١٣ - ٢١٨ .

السادس : معرفة عدله وحكمته .

السابع : معرفة رسله وأنبيائه .

الثامن : معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .

التاسع : معرفة ما أجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الإسلام .

العاشر : معرفة أحكام الأمر والنهى والتكليف .

الحادى عشر : معرفة فناء العباد وأحكامهم فى المعاد .

الثانى عشر : والخلافة والإمامة وشروط الزعامة .

الثالث عشر : أحكام الإيمان والإسلام فى الجملة .

الرابع عشر : معرفة أحكام الأولياء ومراتب،الأئمة الأتقياء .

الخامس عشر : معرفة أحكام الأعداء من الكفرة وأهل الأهواء [١] .

عصمة الله تعالى أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضاً :

أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبرى والتكفير ، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون فى تناقض وتناقض ، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرى بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية حتى اجتمع سبعة منهم فى مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعض، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً حتى قالت اليهود: **﴿ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شىء﴾**[٢]. وقال الله سبحانه وتعالى : **﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾** [٣] .

---

(١) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

(٢) القرآن الكريم ، البقرة ، الآية ١١٣ .

(٣) القرآن الكريم ، النساء ، الآية ٨٢ .

وقد عصم الله أهل السنة من أن يقولوا فى أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعناً ، فلا يقولون فى المهاجرين والأنصار وأعلام الدين ولا فى أهل بدر وأحد وأهل بيت الرضوان إلا أحسن المقال ، ولا فى جميع من شهد لهم النبى ﷺ بالجنة ، ولا أزواج النبى ﷺ ، وأصحابه وأولاده ، وأحفاده . مثل الحسن والحسين والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى الرضا عليهم السلام ، ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير ، ولا الخلفاء الراشدين ، ولم يستجيزوا أن يطعنوا فى واحد منهم، وكذلك فى أعلام التابعين وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع ، وإظهار شىء من المنكرات ، ولا يحكمون فى عوام المسلمين إلا بظاهر إيمانهم ولا يقولون بتكفير واحد منهم إلا أن يتبين منه ما يوجب تكفيره ويصدقون بقول النبى ﷺ : «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » كما أخرجه البخارى ، وقد ورد أنه يشفع كل واحد منهم فى عدد ربيعة ومضر ، ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله تعالى فى كتابه حيث قال : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ [الحشر الآية ١٠] [(١)] .

أئمة أهل السنة والجماعة فى الكلام :

١ - من الصحابة : الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، أول المتكلمين منهم حيث ناظر الخوارج فى ومسائل الوعد والوعيد ، وناظر القدرية فى المشيئة والاستطاعة والقدر .

٢ - عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهنى فى نفيه القدر .

---

(١) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٣٦١ و ٣٦٢ .

٣ - عمر بن عبد العزيز ، أول متكلمى أهل السنة من التابعين وزيد بن على زين العابدين والحسن البصرى والشعبى والزهرى.

٤ - الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رحمهما الله .

٥ - الإمام أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله .

٦ - الإمام أبو الحسن الأشعرى وتلاميذه [١] .

وغيرهم كثيرون من العلماء الأجلاء الذين أهدوا حياتهم للدفاع عن هذه الفرقة بالدراسات العلمية وكتابة المؤلفات الثمينة، وهذه هى الفرقة الناجية التى تحافظ على عقيدة الإسلام الصحيحة المتواترة عن النبى ﷺ .

المشبهة :

المشبهة قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات [٢] ، وأن المشبهة صنفان :

١ - الصنف الأول : شبهوا ذات البارى بذات غيره .

٢ - الصنف الثانى : شبهوا صفات البارى بصفات غيره .

وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى ، فالمشبهة الذين شبهوا ذات الله تعالى بغيره أصناف مختلفة ، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة ، فمنهم :

السبئية الذين سموا الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- إلهاً وشبهوه بذات الإله ، ولما أحرق قوماً منهم قالوا : الآن علمنا أنك إله لأن النار لا يعذب بها إلا الله .

البيانية الذين زعموا أن معبودهم إنسان من نور على صورة إنسان فى أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٦٣ بتصرف .

(٢) الجرجانى ، التعريفات ، ص ٢١٦ .

المغيرية الذين زعموا أن معبودهم ذو أعضاء وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء .

المنصورية أتباع أبى منصور العجلى الذى شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء وزعم أيضاً أن الله مسح يده على رأسه وقال له: يا بنى بلغ عنى.

الخطابية الذين قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبى الخطاب الأسدى.

الحلولية الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك .

الحلولية الحلمانية الذين قالوا إن الإله فى كل صورة حسنة وكانوا يسجدون لكل صورة حسنة [١] .

وغير هؤلاء المشبهة كثيرون والفرق التى ذكرناها على سبيل المثال فقط وليس الحصر لأن هذا ما لا سبيل لنا إلى ذلك.

فأما المشبهة الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات المخلوقين فأصناف منهم على سبيل المثال :

المعتزلة البصرية الذين زعموا أن الله تعالى عز وجل يريد مراده بإرادة حادثة وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا .

الزرارية القائلون بحدوث جميع صفات الله عز وجل وإنها من جنس صفاتنا، وزعموا أن الله تعالى لم يكن فى الأزل حياً ولاعالماً ولاقادراً ولامريداً ولاسميعاً ولابصيراً، وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة وقدرة وعلماً وإرادة وسمعاً وبصراً، كما أن الواحد منا يصير حياً قادراً سميعاً بصيراً مريداً عند حدوث الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر فيه[٢].

---

(١) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

المجسمة : الفرقة التى ذهبت إلى أن المعبود جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى العرش .

والمجسمة فرقة من فرق المرجئة وهى الفرقة المشهورة باسم «الكرامية» هم أصحاب أبى عبد الله بن كرام من سجستان وكان مطروداً منها إلى غرجستان ، ودعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى عرشه [١] . وقد وصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر [٢] .

وهم طوائف بلغ عددهم اثنتى عشرة فرقة وأصولها ست: العابدية والتونية والزرينية والإسحاقية والواحدية والهيصمية [٣] .

والمشبهة من الفرق الضالة المضلة وكذلك المجسمة وهم يخالفون عقائد الأشاعرة من أهل السنة والجماعة .

والفرق الإسلامية التى ذكرناها فى هذه المقدمة ذكرناها على سبيل الاختصار لأن الغرض هو تقديم صورة عامة للعقيدة الإسلامية والفرق الكلامية التى تناولت هذه العقيدة .

والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) نفس المصدر ، ص ٢١٥ و ٢١٦ ، الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ . والاقتباس بتصرف .

المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - أبو زهرة ، محمد أحمد ، الإمام ، المذاهب الكلامية ، مكتبة الآداب القاهرة ، . . .

٣ - الأشعرى ، أبو الحسن على بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٩ هـ -١٩٦٩ .

٤ - الأيجى ، عبد الرحمن بن أحمد ، القاضى ، المواقف فى علم الكلام ، عالم الكتاب ، بيروت ، . . .

٥ - الأشقر ، عمر سليمان ، الدكتور ، العقيدة فى الله ، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط٥ ، ١٩٨٤ .

٦ - البغدادى ، عبد القاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، مكتبة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ، . . .

٧ - البهى ، محمد ، الدكتور ، الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٨ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٨ - بيصار ، محمد ، الدكتور ، العقيدة والأخلاق ، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٣ .

٩ - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤ .

١٠ - الجرجانى ، على بن محمد الشريف ، التعريفات ، الحرمين ، سنغافورة - جدة ، . . .

١١ - حمزة ، محمد الأستاذ ، التآلف بين الفرق الإسلامية ، دار قتيبة ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٢ - السيوطى ، الجامع الصغير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، . . .

١٣ - سابق ، السيد ، العقائد الإسلامية ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ط٣ ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

١٤ - الشهرستانى ، الملل والنحل ، مؤسسة الحلبى وشركاه، القاهرة .

١٥ - صبحى ، أحمد محمود الدكتور ، فى علم الكلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ط٤ ، . . .

١٦ - عبود ، عبد الغنى ، الدكتور ، العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ، دار الفكر العربى، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٦ .

١٧ - العبد ، عبد اللطيف محمد الدكتور ، قواعد العقائد الإسلامية عند الإمام الغزالى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ .

١٨ - عون ، فيصل بدير ، دكتور ، علم الكلام ومدارسه ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

١٩ - عبد الرازق ، مصطفى الشيخ ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط٣ ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٢٠ - عبد المنعم ، على الدكتور ، الإيمان كما يصوره القرآن والسنة، دار البحوث العلمية ، ط١ ، ١٩٧٨ .

٢١ - الغزالى ، محمد ، عقيدة المسلم ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٢٢ - الغرابى ، على مصطفى ، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ، . . .

٢٣ - الفيومى ، المصباح المنير ، دار الفكر ، بيروت ، . . .

٢٤ - القرضاوى ، يوسف الدكتور ، الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٥ - مسلم ، الإمام ، صحيح مسلم دار المعرفة ، بيروت، . . .

٢٦ - المغربى ، على عبد الـفتاح الدكتور ، الفرق الكلاميـة الإسلامية ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٧ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار المعارف ، القاهرة ،

٢٨ - نصار ، محمد عبد الستـار أحمد الدكتور ، المدرسة السلفية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٩ - النووى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الفكر والمطبعة الكبرى بالأميرية ، بولاق مصر ، ط٦ ، ١٣٠٤ هـ .

٣٠ - النجار ، عامر الدكتور ، علم الكلام وتعريفه وعوامل نشأته ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٥ .

٣١ - الوكـيل ، محـمـد السيـد الدكـتور ، قـواعد الـبناء فى المجتـمع الإسلامى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ .

♥♥♥

دراسات وأبحاث

الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلى الحسينى

١ - دراسة فى نشأة التصوف الإسلامى وتطوره من القرن الأول الهجرى حتى القرن الخامس الهجرى ، ٣١ أغسطس ١٩٨٧ ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا كوالا لمبور ماليزيا .

٢ - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، ١٣ أكتوبر ١٩٨٧ ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٣ - دراسة فى التصوف الفلسفى الإسلامى ، ٢٤ ديسمبر ١٩٨٧ ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٤ - دراسة فى الطرق الصوفية ، ٢٧ فبراير ١٩٨٨ ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٥ - مدخل إلى الفلسفة ، ٢١ ذى القعدة ١٤٠٨ هـ - ٥يوليو ١٩٨٨ م أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٦ - مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ٢٨ محرم ١٤٠٩ هـ - ١٠ سبتمبر ١٩٨٨ ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٧ - دراسة فى الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية (دراسة مقارنة)، ٤ رجب ١٤٠٩هـ - ١٠ فبراير١٩٨٩م،أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٨ - مقدمة فى علم مقارنة الأديان ، ٨ ذى القعدة ١٤٠٩ هـ - ١٣ يونيو ١٩٨٩ م ، أكاديمى إسلام جامعة ملايا .

٩ - مقدمة فى العقيدة الإسلامية وعلم الكلام ، ٢٣ محرم ١٤١٠ هـ - ٢٥ أغسطس١٩٨٩م،المعهد العالى للدراسات الإسلامية برونای دار السلام.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

الفصل الأول

العقيدة ومعانيها وما يتعلق بها من موضوعات ٩

العقيدة لغة ٩

العقيدة اصطلاحاً ١١

العقيدة والإيمان ١٣

حقيقة العقيدة الإسلامية ١٤

العقيدة الإسلامية وتساؤلات الإنسان ١٥

موضوعات العقيدة ١٨

مزايا العقيدة الإسلامية ٢٠

العقيدة والشريعة والأخلاق ٢٣

الفصل الثانى

القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ٢٧

منهج القرآن الكريم فى تقرير العقائد ٢٨

الوجه الأول من المنهج ٢٨

الوجه الثانى من المنهج ٢٨

الفصل الثالث

العقيدة فى أيام الرسول ﷺ ٣٧

الفصل الرابع

العقيدة فى أيام الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ٤١

الفصل الخامس

علم الكلام ونشأته ٤٥

أسما علم الكلام ٤٥

تعاريف علم الكلام ٤٧

موضوع علم الكلام ٤٩

فوائد علم الكلام ٥٠

آراء العلماء فى علم الكلام ٥٠

نشأة علم الكلام ٥٦

مراحل النشأة ٥٧

عوامل النشأة ٦٠

أهمية علم الكلام فى العصر الحديث ٦٣

الفصل السادس

الفرق الكلامية الإسلامية ٦٥

الشيعة ٦٥

نشأة التشيع ٦٦

فرق الشيعة ٧٠

الخوارج ٧٦

المرجئة ٨٠

القدرية ٨٣

الجبرية ٨٤
المعتزلة ٨٥
الأشعرية ٨٧
طريقة الأشعرى فى البحث ٨٩
أهل السنة والجماعة يشمل ثمانية أصناف ٨٩
الأصول التى اجتمع أهل السنة والجماعة ٩١
عصمة الله تعالى أهل السنة والجماعة ٩٢
أئمة أهل السنة والجماعة فى الكلام ٩٣
المشبهة ٩٤
المجسمة ٩٦
المراجع والمصادر ٩٧
دراسات وأبحاث الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلى الحسينى ١٠٠
فهرس الموضوعات ١٠١